العترة الزكية

في الفتوحات المكية

تاليف

محي الدين محمد بن علي بن العربي

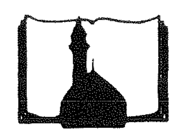
(٥٦٠ - ٦٣٨)

انتقاء

محمد حسين الحسيني الجلالي

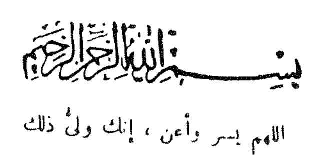


The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398



The Open School

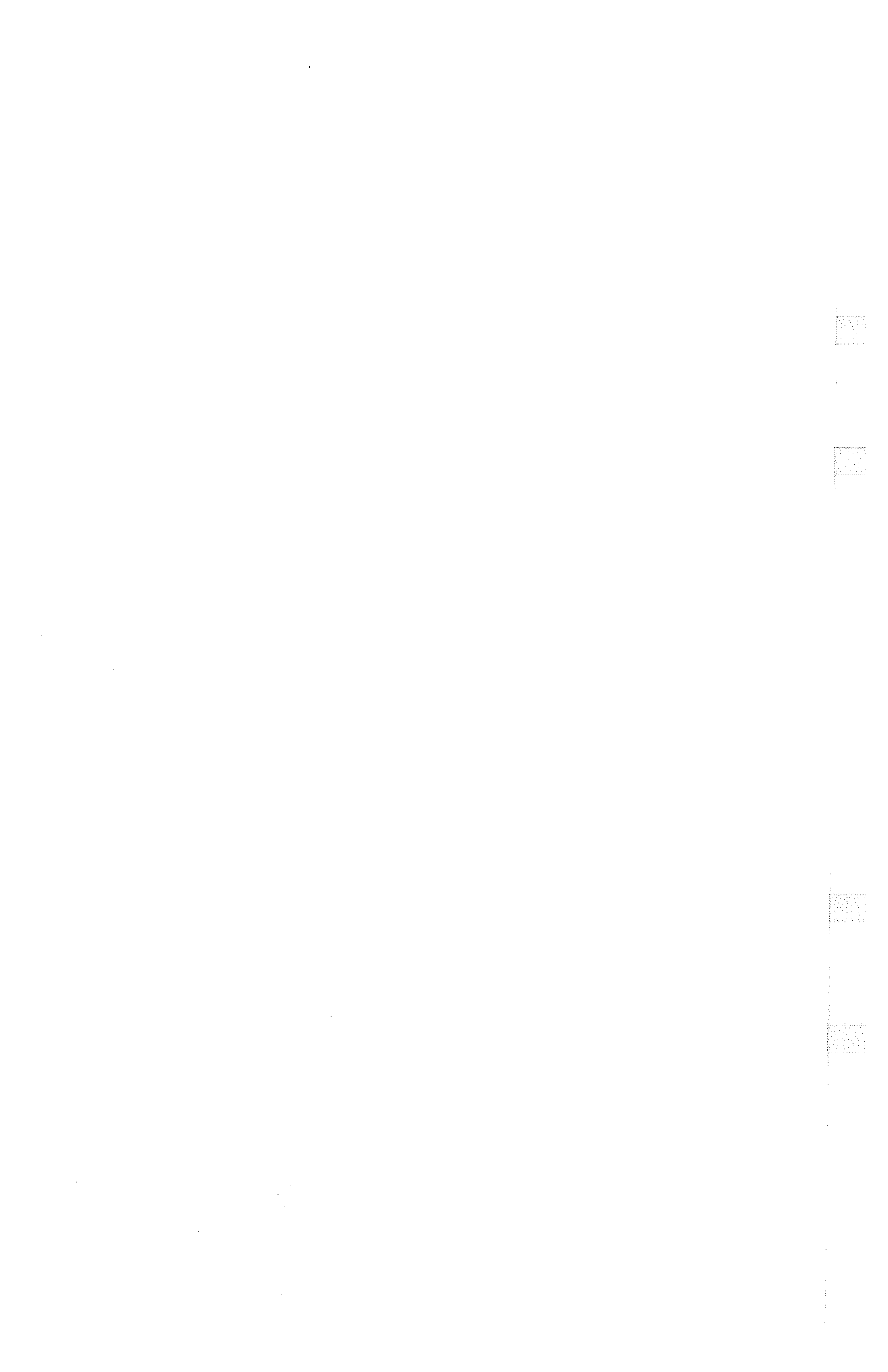
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398



اللهم يسر وأعن ، إنك ولي ذلك

المقدمة

الكتاب و المؤلف



كان ابن العربي (٥٦٠-٦٣٨) صاحب مدرسة فكرية مستقلة تفا علت فيها تجاربه في الحياة في مولده المغرب الاسلامي مع تجاربه في موطنه الشرق الاسلامي و قد سار علي خطاه مريدوه - وهم كثر من مختلف المذاهب و الفرق-و لا يعبرون عنه الا بالشيخ الاكبر كما و عارضه اعدائه و حساده فاتهموه بالكفر و علي راسهم ابن تيمية (راجع مجموع الفتاوي ١١-٢٣٨) و تلميذه الذهبي في (سير اعلام النبلاء ٢٣-٤٨). و لم يمنعه شيء من ذالك من انتاج مكتبة زاخرة بافكاره و ارائه في العقيدة و الشريعة و الطريقة.

من هو ابن العربي؟

هو محي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن احمد بن محمد بن عبد الله الطائي الحاتمي الاندلسي المولد و الدمشقي الموطن و الوفاة فهو عربي كما يفيده لقبه و لكنه عرف بابن العربي وهذا ليس من العادة في الالقاب.

و اهم الاحداث في حياته:

٥٦٠ - في رمضان ولد بمرسية الاندلس

٥٩٨- رحل الي المشرق و سمع بمكة و بغداد و الروم

٦٢٩- فرغ من كتابه الفتوحات و هو اهم مؤلفاته

٦٣٤- عاصر سقوط قرطبة

٦٣٦- عاصر سقوط بلنسية - الاندلس

٦٣٨- ٢٤- ربيع الثاني توفي في دمشق و لا يزال قبره

مزارا معروفا في حارة معروفة باسم محي الدين.

و يستخلص من تواريخ حياته انه رحل الي الشرق و قد بلغ ٣٨ عاما و لا يعرف بالضبط سبب رحلته سوي ما اشار اليه ابن الابار في ترجمته بقوله:(كتب لبعض الولاة ثم ترك ذالك و رحل الي المشرق) قال الجلالي و من هذا النص يظهر ان صلته بالولاة المشار اليهم جعله علي علم بعدم كفايتهم لاداء الواجب تجاه الزحف المسيحي الذي بدت لوائحه في سماء الاندلس و لم ير لنفسه من دور في الحياة سوي خدمة الثقافة الاسلامية حسب قدرته وكان ما اراد حيث و صلت افكاره اجيالا متعاقبة و يعتبر كتابه الفتوحات المكية من اهم المصادر التي تستعرض اهم المعارف الصوفية التي –حسب المصطلح الصوفي– فتح الله عليه من طرق المعرفة في مكة المكرمة و اتمها خلال ثلاثين عاما و اهداه الي شيخه عبد العزيز التونسي. و قد اورد فيه افكاره كما سنحت له – و احيانا من دون مناسبة–و لكنه فهرس كتابه في ابواب بلغت ٥٦٠ بابا حفظا لها عن الزيادة و النقصان و المع الي المحتوي في المقدمة بايجاز ثم شرحها بتفصيل في الكتاب و ختمه بوصايا لا يستغني عنها طالب علم السلوك.

مدرسة ابن العربي

تبني ابن العربي الحب الالهي اساسا لمدرسته الفكرية و طبقها علي كل مرافق العقيدة و الشريعة و من ثم اثرت مدرسته في مختلف المذاهب و الفرق و الاديان و مما قال:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة

فمرعي لغزلان و دير لرهبان

و بيت لاوثان و كعبة طائف

و الواح توراة و مصحف قران

ادين بدين الحب اني توجهت

ركاءبه فالحب ديني و ايماني

و هذه نظرية وحدة الاديان في غاياتها و ان اختلفت مسالكها مبتنية علي نظريته في وحدة الوجود و لغموض هذه النظرية اختلف الناس في معتقده فقدسه بعض و كفره اخرون. و قد حاول بعض مريديه توجيه ذالك'حكي ان الصحيح فيه (فالدين ديني) قال الجلالي و لعل ذالك اجتهاد ظنا ان ذالك يشين بالشيخ الاكبر و اظن ان هذا ما لاترتضيه رو ح الشيخ و لا يستسيغه ذوق الشعر فان مدرسة ابن العربي تعني الحب الالهي الذي لا ينفك عن الدين فهما مترادفان فاذا انفك احدهما عن الاخر لما كان حبا الهيا و الله العاصم.

و قد اهتم بآثاره سلاطين ال عثمان اهتماما كبيرا و اشادوا قبره القا ئم حتي اليوم.

ابن العربي و اهل البيت

قال ابن العربي فيهم:(ما ظنك باهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون بل هم عين الطهارة) الفتوحات الباب ٩٩

و ذكر في الباب ٧٣ اجوبة مسائل الحكيم الترمذي في التمحيص و اختبار الذوق التي لا تنال بالنظر الفكري في الجواب ١٥٠ حول (اهل بيتي امان لامتي) و مما قال:

" الجواب :قال(ص) :"سلمان منا اهل البيت" فكل عبد له صفات سيده – الي ان قال– فكان اهل البيت امانا لازواج رسول الله (ص) من الوقوع في المخالفات التي يعود عارها علي اهل بيت رسول الله (ص)... الي اخر كلامه (الفتوحات الباب ٧٣ س ١٥٠)

و الاحاديث في اهل البيت كثيرة نكتفي بما رواه مسلم في صحيحه باسناده عن زيد بن ارقم قال:

لما نزلت هذه الاية :"فقل تعالوا ندع ابناءنا و ابناءكم" جمع رسول الله (ص) عليا و فاطمة و حسنا و حسينا فقال "اللهم هؤلاء اهلي."

(صحيح مسلم ٧–١٢٠ طبعة القاهرة ١٣٣٤)

..." الا ايها الناس فانما انا بشر يوشك ان ياتي رسول ربي فاجيب و انا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدي و النور فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به

-فحث علي كتاب الله و رغب فيه ثم قال- و اهل بيتي

اذكركم الله في اهل بيتي

اذكركم الله في اهل بيتي

اذكركم الله في اهل بيتي...

(صحيح مسلم ٧-١٢٠ طبعة القاهرة ١٣٣٤)

ابن العربي و التشيع

و قد اهملت المصادرالعامة للتراجم عند الشيعة ترجمة ابن العربي(راجع تنقيح المقال للمامقاني طبعة النجف ١٣٥١) و لم يرد اهم كتبه الفتوحات في الذريعة الي تصانيف الشيعة (راجع ١٦-١١٨ طبعة ١٣٨٧)

و اول من ترجمه في تراجم علماء الشيعة هو القاضي نور الله التستري (ت١٠١٩) في كتابه مجالس المؤمنين استنادا الي نصوص من كلامه فهم منها التشيع و من اجل ذالك ترجمه الشيخ العلامة الطهراني في طبقات اعلام الشيعة

(راجع: طبقات اعلام الشيعة ٧-١٦٣ طبعة ١٩٧٢)

كما تنسب اليه قصيدة في الائمة الثني عشر اشار اليها في الذريعة ثم قال:(لو ثبت نسبة دوازده امام (الائمة الثني عشر) اليه فيمكن حمل بعض كلماته علي التقية)

راجع الذريعة الي تصانيف الشيعة ٨-٢٦٩ طبعة ١٩٥١

و ابن العربي و ان كان يلتقي في حب اهل البيت مع الشيعة الامامية و لكنه يختلف معهم في نقاط بارزةنكتفي با لاشارة الي ثلاث منها:

اولا: الائمة:

الامامية تقول بالائمة الاثني عشر بالتسلسل و ابن العربي يقول بالاقطاب الاثني عشر من غير تسلسل (يراجع الباب ٤٦٢ من الفتوحات).

ثانيا عدد الائمة:

الامامية تقول بان عددالائمة اثني عشر من دون زيادة و نقيصة و ابن العربي يقول بالامامين الحسن و الحسين دون غيرهما (يراجع الباب ٢٧٠ من الفتوحات).

ثالثا المهدي من ال البيت:

الامامية تقول بانه لا شك في ظهوره و حكمه عند ظهوره و ابن العربي يشك في حكمه و ان كان يقول بظهوره (يراجع الباب ٣٦٦ من الفتوحات).

و نظرة عابرة الي هذه الاراء توقفنا علي حقيقة هامة هي ان ابن العربي كان يستقي مواقفه الصوفية من الاحاديث النبوية ثم يفسرها كما يفتح اللّٰه عليه و الاحاديث في النقاط الثلاث كثيرة لاينكرها الا مكابر و اللّٰه العاصم.

و هذه الوجيزة

فوائد منتقاة من الفتوحات دعاني الي ذالك حب العترة الزكية من اهل بيت خير البرية الذي اوصي بهم منقذ البشرية من براثن الجاهلية بعد اجتماعي بالسيد الحميم صاحب الفضل الجسيم السيد عبد الكريم حفظه العلي العظيم و هو ممن يقول بوحدة الوجود و يري ان الغبي من لا يتبع ابن العربي و يراه من الشيعة الامامية .

قال الجلالي:و في كلامه (ره) ملاحظات اهمها سوء الفهم في النصوص المذكورة و منشاها عدم الفصل بين التشيع لغة و مذهبا فان السابر في كتب الشيخ الاكبر لا يشك في انه يشايع اهل بيت النبي(ص) بل لم اجد ما قاله فيهم بانهم "عين الطهارة" في كتب الشيعة انفسهم . و لكن هذا لا يعني التشيع مذهبا فان من سبر كتبه يجده صاحب مدرسة فكرية مستقلة في العقيدة و الشريعة مستقاة من فلسفته الصوفية . فقد وقع في هذه الهفوة كثير من اصحاب التراجم و الرواة و عد جمع من الرواة الموصوفين بالتشيع من الشيعة مذهبا .

و لا يخفي علي من يدرس كتب العقائد عند الشيعة الامامية ان التشيع مذهبا يبتني علي اصول خمسة :ثلاثة

منها هي اصول الدين و هي التوحيد و النبوة و المعاد من انكرها خرج عن الاسلام و اثنان من اصول المذهب هما العدل و الامامة من انكرها لا يعد من الامامية و لكنه لايخرج عن الاسلام بل هو من المسلمين له ما لهم و عليه ما عليهم من حقوق و واجبات .

و التشيع المذهبي افترق تاريخيا الي ثلاثة فرق رئيسية هي:

١- الزيدية في اليمن وهم يعتقدون بامامة علي و الحسين و زيد ثم من قام بالسيف من نسلهم.

٢- الاسمٰعيلية في سوريا و الهند و هم يعتقدون بامامة اسماعيل بن الامام جعفر الصادق و ابائه.

٣- الامامية الاثني عشرية في العراق و ايران و الهند و يعتقدون بامامة اثني عشر اماما اولهم الامام علي و اخرهم محمد المهدي و كتبهم في العقيدة و الشريعة مشهورة.

فان ما نقلناه لا تثبت ما ادعا ه هدانا الله و اياه لذالك رايت ايراد ما ذكره ابن العربي بنص العبارة لما تقدمت اليه الاشارة.

و الاسناد

و اروي كتابه الفتوحات و بقية تآليفه عن مسند مكة الشيخ علم الدين محمد ياسين الفاداني (ت١٤١٠) باسانيده المتصلة الي ابي عبد الله الامير الكبير (ت١٢٣٢) المذكورة في كتابه سد الارب من علوم الاسناد و الادب بالسند الي الصفي القشاشي عن زين العابدين بن عبد القادر بن محمد بن يحيي الطبري المكي عن والده عن جده يحيي عن الحافظ عبد العزيز بن الحافظ عمر بن الحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي عن ابيه عمر عن الجمال محمد بن ابراهيم المرشدي عن ابي محمد عبد الله بن سليمان النشاوي المكي عن رضي الدين الطبري المكي عن المؤلف بن العربي في كتابه .

و رتبت هذا المنتقى علي فصول خمسة:

الفصل الاول في الحقيقة المحمدية

الفصل الثاني في الامامين الحسن و الحسين

الفصل الثالث في الاثني عشر قطبا

الفصل الرابع في المهدي من ال البيت

الفصل الخامس في سلمان منا اهل البيت

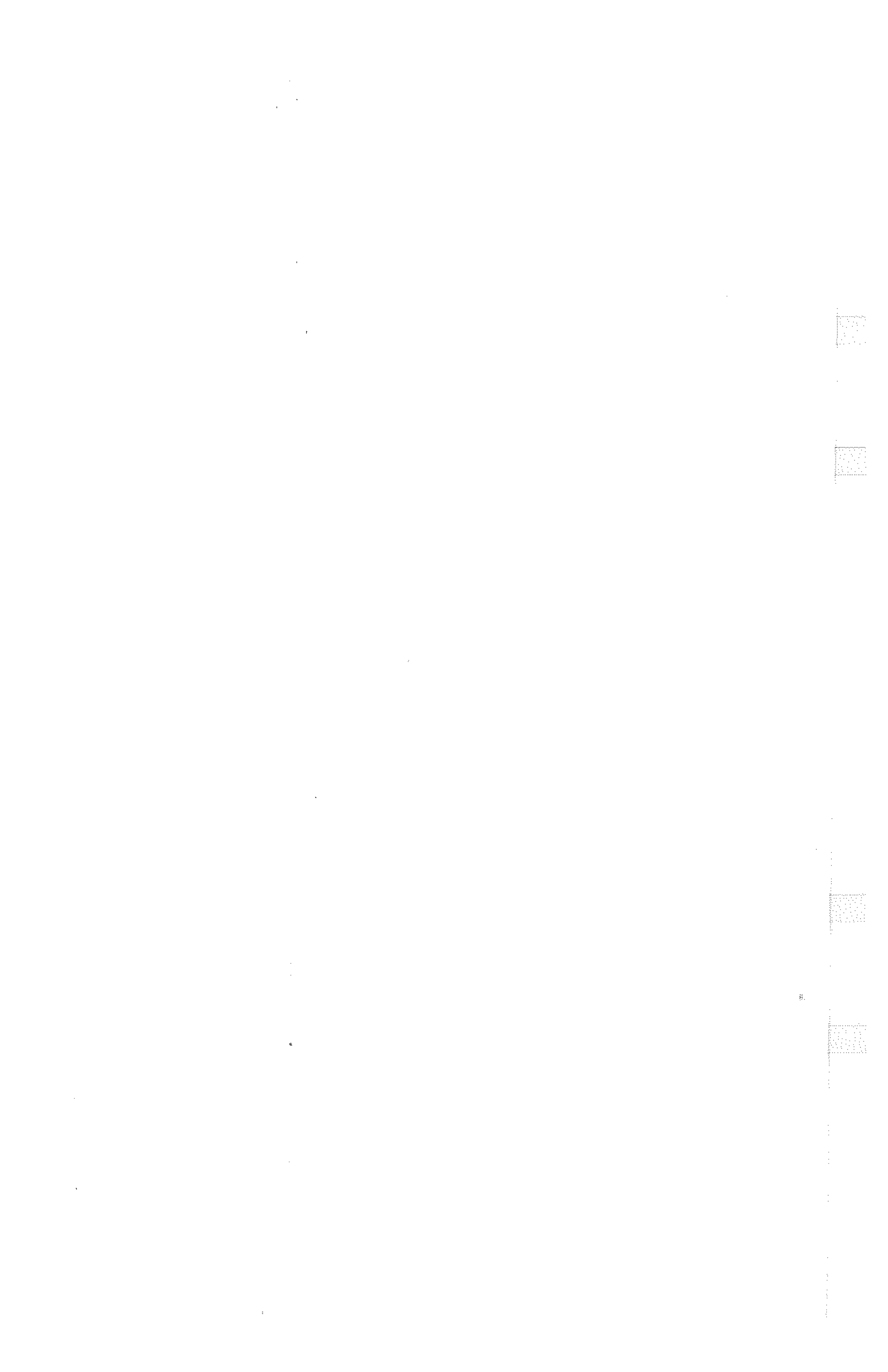
الخاتمة في و صايا عامة في السير و السلوك

عسي ان تكون هذه الخلاصة خطوة في سبيل معرفة الحقيقة التي هي اولي بالاتباع اعاذنا الله جميعا من التعصب و الابتداع و الله ولي التوفيق.

محمد حسين الحسيني الجلالي

الفصل الاول

سيدنا محمد (ص)



في معرفة دورة فلك سيدنا محمد ﷺ وهي دورة السيادة
وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله تعالىٰ

ألا بـأبـي مـن كـان ملكـاً وسيـداً — وآدم بيـن المـاء والطيـن واقـف
فـذاك الـرسـول الأبطحـيّ محمـد — لـه فـي العلـى مجـد تليـد وطـارف
أتـى بـزمـان السعـد فـي آخـر المـدى — وكـانـت لـه فـي كـل عصـر مـواقـف
أتـى لانكسـار الـدهـر يجبـر صـدعـه — فـأثنـت عليـه ألسـن وعـوارف
إذا رام أمـراً لا يكـون خـلافـه — وليـس لـذاك الأمـر فـي الكـون صـارف

اعلم أيدك الله أنه لما خلق الأرواح المحصورة المدبرة للأجسام بالزمان عند وجود حركة الفلك لتعيين المدّة المعلومة عند الله، وكان عند أول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبرة روح محمد ﷺ ثم صدرت الأرواح عند الحركات فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة، وأعلمه الله بنبوّته وبشّره بها، وآدم لم يكن إلاّ كما قال بين الماء والطين، وانتهى الزمان بالاسم الباطن في حق محمد ﷺ إلى وجود جسمه وارتباط الروح به، انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر، فظهر محمد ﷺ بذاته جسماً وروحاً، فكان الحكم له باطناً أولاً في جميع ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين، ثم صار الحكم له ظاهراً فنسخ كل شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان اختلاف حكم الاسمين وإن كان المشرّع واحداً وهو صاحب الشرع فإنه قال: كنت نبياً، وما قال كنت إنساناً ولا كنت موجوداً، وليست النبوّة إلاّ بالشرع المقرّر عليه من عند الله، فأخبر أنه صاحب النبوّة قبل وجود الأنبياء الذين هم نوّابه في هذه الدنيا، كما قررناه فيما تقدم من أبواب هذا الكتاب، فكانت استدارته انتهاء دورته بالاسم الباطن، وابتداء دورة أخرى بالاسم الظاهر فقال: استدار كهيئته يوم خلقه الله في نسبة الحكم لنا ظاهراً كما كان في الدورة الأولى منسوباً إلينا باطناً أي إلى محمد، وفي الظاهر منسوباً إلى من نسب إليه من شرع إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وجميع الأنبياء والرسل، وفي الأنبياء من الزمان أربعة حرم: هود وصالح وشعيب سلام الله عليهم ومحمد ﷺ، وعينها من الزمان ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر، ولما كانت العرب تنسأ في الشهور فتردّ المحرم منها حلالاً والحلال منها حراماً وجاء محمد ﷺ فردّ الزمان إلى أصله الذي حكم الله به عند خلقه فعين الحرم من الشهور على حد ما خلقها الله عليه فلهذا قال في اللسان الظاهر: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله كذلك استدار الزمان، فأظهر محمداً ﷺ كما ذكرناه جسماً وروحاً بالاسم الظاهر حسّاً، فنسخ من شرعه المتقدم ما أراد الله أن ينسخ منه، وأبقى ما أراد الله أن يبقي منه وذلك من الأحكام خاصة لا من الأصول. ولما كان ظهوره بالميزان وهو العدل في الكون وهو معتدل لأن طبعه الحرارة والرطوبة كان من حكم الآخرة، فإن حركة الميزان متصلة بالآخرة إلى دخول الجنة والنار، ولهذا كان العلم في هذه الأمّة أكثر مما كان في الأوائل، وأعطي محمد ﷺ علم الأولين والآخرين لأن حقيقة الميزان تعطي ذلك، وكان الكشف أسرع في هذه الأمّة مما كان في غيرها لغلبة البرد واليبس على سائر الأمم قبلنا وإن كانوا أذكياء وعلماء، فاحاد منهم معينون بخلاف ما هم الناس اليوم عليه، ألا ترى هذه الأمّة قد ترجمت جميع علوم الأمم، ولو لم يكن المترجم عالماً بالمعنى الذي دلّ عليه لفظ المتكلم به لما صحّ أن يكون هذا مترجماً، ولا كان ينطلق على ذلك اسم الترجمة، فقد علمت هذه الأمّة علم من تقدم واختصت بعلوم لم تكن للمتقدمين، ولهذا أشار ﷺ بقوله: «فَعَلِمْتُ عِلْمَ الأَوَّلِينَ» وهم الذين تقدموه، ثم قال: «والآخرين» وهو علم ما لم يكن عند المتقدمين وهو ما تعلمه أمّته من بعده إلى يوم القيامة، فقد أخبر أن عندنا علوماً لم تكن قبل، فهذه شهادة من النبيّ ﷺ لنا وهو الصادق بذلك، فقد ثبتت له ﷺ السيادة في العلم في الدنيا وثبتت له أيضاً السيادة في الحكم حيث قال: «لَوْ كَانَ مُوسَىٰ حَيّاً مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي» ويبين ذلك عند نزول عيسىٰ عليه السلام وحكمه فينا بالقرآن، فصحّت له السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى، ثم أثبت السيادة له على سائر الناس يوم القيامة بفتحه باب الشفاعة، ولا يكون ذلك لنبيّ يوم القيامة إلاّ له ﷺ، فقد شفع ﷺ في الرسل والأنبياء أن تشفع نعم وفي الملائكة فأذن الله تعالىٰ عند شفاعته في ذلك لجميع من له شفاعة من ملك ورسول ونبيّ ومؤمن أن يشفع، فهو ﷺ أول شافع بإذن الله وأرحم الراحمين آخر شافع يوم القيامة، فيشفع الرحيم عند المنتقم أن يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط

فيخرجهم المنعم المتفضل، وأيّ شرف أعظم من دائرة تدار يكون آخرها أرحم الراحمين وآخر الدائرة متصل بأولها، فأي شرف أعظم من شرف محمد ﷺ حيث كان ابتداء هذه الدائرة حيث اتصل بها آخرها لكمالها، فبه سبحانه ابتدأت الأشياء، وبه كملت، وما أعظم شرف المؤمن حيث تلت شفاعته بشفاعة أرحم الراحمين، فالمؤمن بين الله وبين الأنبياء، فإن العلم في حق المخلوق وإن كان له الشرف التام الذي لا تجهل مكانته، ولكن لا يعطى السعادة في القرب الإلهيّ إلاّ بالإيمان، فنور الإيمان في المخلوق أشرف من نور العلم الذي لا إيمان معه، فإذا كان الإيمان يحصل عنه العلم فنور ذلك العلم المولد من نور الإيمان أعلى، وبه يمتاز على المؤمن الذي ليس بعالم، فيرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين درجات على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم ويزيد العلم بالله، فإن رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: أنتم أعلم بمصالح دنياكم، فلا فلك أوسع من فلك محمد ﷺ فإن له الإحاطة وهي لمن خصّه الله بها من أمته بحكم التبعية، فلنا الإحاطة بسائر الأمم ولذلك كنا شهداء على الناس، فأعطاه الله من وَحي أمر السموات ما لم يعط غيره في طالع مولده، فمن الأمر المخصوص بالسماء الأولى من هناك لم يبدل حرف من القرآن ولا كلمة، ولو ألقى الشيطان في تلاوته ما ليس منها بنقص أو زيادة لنسخ الله ذلك وهذا عصمة، ومن ذلك الثبات ما نسخت شريعته بغيرها، بل ثبتت محفوظة واستقرّت بكل عين ملحوظة، ولذلك تستشهد بها كل طائفة، ومن الأمر المخصوص بالسماء الثانية من هناك أيضاً خصّ بعلم الأولين والآخرين والتؤدة والرحمة والرفق ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] وما أظهر في وقت غلظة على أحد إلاّ عن أمر إلهي حين قيل له: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] فأمر به لما لم يقتض طبعه ذلك وإن كان بشراً يغضب لنفسه ويرضى لنفسه فقد قدم لذلك دواء نافعاً يكون في ذلك الغضب رحمة من حيث لا يشعر بها في حال الغضب، فكان يدل بغضبه مثل دالته برضاه، وذلك لأسرار عرفناها ويعرفها أهل الله منّا، فصحّت له السيادة على العالم من هذا الباب، فإن غير أمته قيل فيهم ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] فأضلّهم الله على علم وتولى الله فينا حفظ ذكره فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] لأنه سمع العبد وبصره ولسانه ويده واستحفظ كتابه غير هذه الأمّة فحرّفوه، ومن الأمر المخصوص من وحي السماء الثالثة من هناك أيضاً السيف الذي بعثه به والخلافة، واختصّ بقتال الملائكة معه منها أيضاً، فإن ملائكة هذه السماء قاتلت معه يوم بدر، ومن هذه السماء أيضاً بعث من قوم ليس لهم همة إلاّ في قرى الأضياف ونحر الجزر والحروب الدائمة وسفك الدماء وبهذا يتمدحون ويمدحون قيل في بعضهم:

ضروب بنصل السيف سوق سمانها ... إذا عدموا زاداً فإنك عاقر

وقال الآخر منهم يمدح قومه:

لا يبعدن قومي الذين همو ... سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

فمدحهم بالكرم والشجاعة والعفة، يقول عنترة بن شدّاد في حفظ الجار في أهله:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

ولا خفاء عند كل أحد بفضل العرب على العجم بالكرم والحماسة والوفا وإن كان في العجم كرماء وشجعان ولكن آحاد، كما أن في العرب جبناء وبخلاء ولكن آحاد، وإنما الكلام في الغالب لا في النادر وهذا ما لا ينكره أحد، فهذا مما أوحى الله في هذه السماء، فهذا كله من الأمر الذي يتنزل بين السماء والأرض لمن فهم، ولو ذكرنا على التفصيل ما في كل سماء من الأمر الذي أوحى الله سبحانه فيها لأبرزنا من ذلك عجائب ربما كان ينكرها بعض من ينظر في ذلك العلم من طريق الرصد والتسيير من أهل التعاليم، ويحار المنصف منهم فيه إذا سمعه، ومن الوحي المأمور به في السماء الرابعة

نسخه بشريعته جميع الشرائع وظهور دينه على جميع الأديان عند كل رسول ممن تقدمه، وفي كل كتاب منزل، فلم يبق لدين من الأديان حكم عند الله إلاَّ ما قرّر منه فبتقريره ثبت فهو من شرعه وعموم رسالته، وإن كان بقي من ذلك حكم فليس هو من حكم الله إلاَّ في أهل الجزية خاصة، وإنما قلنا ليس هو حكم الله لأنه سمّاه باطلاً فهو على من اتبعه لا له فهذا أعني بظهور دينه على جميع الأديان كما قال النابغة في مدحه:

ألـم تـر أن الله أعطـاك سـورة ... تـرى كـل ملـك دونهـا يتـذبـذب
بـأنـك شمـس والملـوك كـواكـب ... إذا طلعـت لـم يبـد منهـن كـوكـب

وهذه منزلة محمد ﷺ، ومنزلة ما جاء به من الشرع من الأنبياء وشرائعهم سلام الله عليهم أجمعين، فإن أنوار الكواكب اندرجت في نور الشمس، فالنهار لنا والليل وحده لأهل الكتب إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وقد بسطنا في التنزلات الموصلية من أمر كل سماء ما إذا وقفت عليه عرفت بعض ما في ذلك، ومن الوحي المأمور به في السماء الخامسة من هناك المختص بمحمد ﷺ أنه ما ورد قط عن نبيّ من الأنبياء أنه حبّب إليه النساء إلاَّ محمد ﷺ وإن كانوا قد رزقوا منهن كثيراً كسليمان عليه السلام وغيره، ولكن كلامنا في كونه حبّب إليه وذلك أنه ﷺ كان نبياً وآدم بين الماء والطين كما قررناه وعلى الوجه الذي شرحناه، فكان منقطعاً إلى ربه لا ينظر معه إلى كون من الأكوان لشغله بالله عنه، فإن النبي مشغول بالتلقي من الله ومراعاة الأدب فلا يتفرغ إلى شيء دونه فحبّب الله إليه النساء فأحبهن عناية من الله بهن، فكان ﷺ يحبهن بكون الله حببهن إليه. خرّج مسلم في صحيحه في أبواب الإيمان: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ نَعْلِي حَسَناً وَثَوْبِي حَسَناً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ» ومن هذه السماء حب الطيب، وكان من سنته النكاح لا التبتل، وجعل النكاح عبادة للسرّ الإلهيّ الذي أودع فيه وليس إلاَّ في النساء وذلك ظهور الأعيان للثلاثة الأحكام التي تقدم ذكرها في الإنتاج عن المقدمتين والرابط الذي جعله علة الإنتاج، فهذا الفضل وما شاكله مما اختصّ به محمد ﷺ وزاد فيه بنكاح الهبة كما جعل في أمته، فيما يبين لها من النكاح لمن لا شيء له من الأعواض بما يحفظه من القرآن خاصة لا أنه يعلمها، وهذا وإن لم يقو قوّة الهبة ففيه اتساع للأمّة، وليس في الوسع استيفاء ما أوحى الله من الأمر في كل سماء، ومن الأمر الموحى في السماء السادسة إعجاز القرآن.

والذي أعطيه ﷺ من جوامع الكلم من هذه السماء تنزل إليه ولم يعط ذلك نبيّ قبله، وقد قال: «أُعْطِيتُ سِتًّا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي»، وكل ذلك أوحي في السموات من قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾ [فصلت: ١٢] فجعل في كل سماء ما يصلح تنفيذه في الأرض في هذا الخلق، فكان من ذلك أن بعث وحده إلى الناس كافة فعمّت رسالته، وهذا مما أوحى الله به في السماء الرابعة ونصر بالرعب وهو مما أوحى الله به في السماء الثالثة من هناك. ومنها ما حلّل الله له من الغنائم وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً من السماء الثانية من هناك أوتيت جوامع الكلم من أمر وحي السماء السادسة، ومن أمر هذه السماء ما خصّه الله به من إعطائه إياه مفاتيح خزائن الأرض، ومن الوحي المأمور به في السماء السابعة من هناك وهي السماء الدنيا التي تلينا كون الله خصّه بصورة الكمال فكملت به الشرائع وكان خاتم النبيين ولم يكن ذلك لغيره ﷺ، فبهذا وأمثاله انفرد بالسيادة الجامعة للسيادات كلها والشرف المحيط الأعم ﷺ، فهذا قد نبهنا على ما حصل له في مولده من بعض ما أوحى الله به في كل سماء من أمره.

وقوله الزمان ولم يقل الدهر ولا غيره ينبّه على وجود الميزان، فإنه ما خرج عن الحروف التي في الميزان بذكر الزمان، وجعل ياء الميزان مما يلي الزاي وخفّف الزاي وعددها في الزمان إشعاراً بأن في هذه الزاي حرفاً مدغماً فكان أوّل وجود الزمان في الميزان للعدل الروحاني، وفي الاسم الباطن لمحمد ﷺ بقوله: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ» ثم استدار بعد انقضاء دورة الزمان التي هي ثمانية وسبعون ألف سنة، ثم ابتدأت دورة أخرى من الزمان بالاسم الظاهر فظهر

فيها جسم محمد ﷺ، وظهرت شريعته على التعيين والتصريح لا بالكناية، واتصل الحكم بالآخرة فقال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقيل لنا: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝﴾ [الرحمٰن: ٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝﴾ [الرحمٰن: ٧] فبالميزان أوحى في كل سماء أمرها، وبه قدّر في الأرض أقواتها ونصبه الحق في العالم في كل شيء، فميزان معنوي وميزان حسّي لا يخطىء أبداً، فدخل الميزان في الكلام وفي جميع الصنائع المحسوسة وكذلك في المعاني، إذ كان أصل وجود الأجسام والأجرام وما تحمله من المعاني عند حكم الميزان، وكان وجود الميزان وما فوق الزمان عن الوزن الإلهيّ الذي يطلبه الاسم الحكيم، ويظهره الحكم العدل لا إله إلاّ هو. وعن الميزان ظهر العقرب وما أوحى الله فيه من الأمر الإلهيّ، والقوس والجدي والدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة، وانتهت الدورة الزمانية إلى الميزان لتكرار الدور، فظهر محمد ﷺ وكان له في كل جزء من أجزاء الزمان حكم اجتمع فيه بظهوره ﷺ، وهذه الأسماء أسماء ملائكة خلقهم الله وهم الاثنا عشر ملكاً، وجعل لهم الله مراتب في الفلك المحيط، وجعل بيد كل ملك ما شاء أن يجعله مما يبرزه فيمن هو دونهم إلى الأرض حكمة، فكانت روحانية محمد ﷺ تكتسب عند كل حركة من الزمان أخلاقاً بحسب ما أودع الله في تلك الحركات من الأمور الإلهية، فما زالت تكتسب هذه الصفات الروحانية قبل وجود تركيبها إلى أن ظهرت صورة جسمه في عالم الدنيا بما جبله الله عليه من الأخلاق المحمودة فقيل فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤] فكان ذا خلق لم يكن ذا تخلق.

ولما كانت الأخلاق تختلف أحكامها باختلاف المحل الذي ينبغي أن يقابل بها احتاج صاحب الخلق إلى علم يكون عليه حتى يصرف في ذلك المحل الخلق الذي يليق به عن أمر الله فيكون قربة إلى الله، فلذلك تنزلت الشرائع لتبين للناس محال أحكام الأخلاق التي جبل الإنسان عليها فقال الله في مثل ذلك: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] لوجود التأفيف في خلقه، فأبان عن المحل الذي لا ينبغي أن يظهر فيه حكم هذا الخلق، ثم بيّن المحل الذي ينبغي أن يظهر فيه هذا الخلق فقال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦٧] وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فأبان عن المحل الذي ينبغي أن لا يظهر فيه خلق الخوف ثم قال لهم ﴿وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فأبان لهم حيث ينبغي أن يظهر حكم هذه الصفة، وكذلك الحسد والحرص وجميع ما في هذه النشأة الطبيعية الظاهر حكم روحانيتها فيها قد أبان الله لنا حيث نظهرها وحيث نمنعها، فإنه من المحال إزالتها عن هذه النشأة إلاّ بزوالها لأنها عينها والشيء لا يفارق نفسه، قال ﷺ: «لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ» وقال: «زادك الله حرصاً ولا تعد».

وإنما قلنا الظاهر حكم روحانيتها فيها تحرّزنا بذلك من أجل أهل الكشف والعلماء الراسخين في العلم من المحققين العالمين، فإنّ المسمّى بالجماد والنبات عندنا لهم أرواح بطنت عن إدراك غير أهل الكشف إياها في العادة لا يحسّ بها مثل ما يحسّها من الحيوان، فالكل عند أهل الكشف حيوان ناطق بل حيّ ناطق، غير أنّ هذا المزاج الخاص يسمّى إنساناً لا غير بالصورة، ووقع التفاضل بين الخلائق في المزاج فإنه لا بدّ في كل ممتزج من مزاج خاص لا يكون إلاّ له به يتميز عن غيره كما يجتمع مع غيره في أمر فلا يكون عين ما يقع به الافتراق والتميز عين ما يقع به الاشتراك وعدم التميز فاعلم ذلك وتحققه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وشيء نكرة ولا يسبح إلاّ حيّ عاقل عالم بمسبحه، وقد ورد أنّ المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس والشرائع والنبوّات من هذا القبيل مشحونة، ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤية عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل إنسان، فكل جنس من خلق الله أمّة من الأمم فطرهم الله على عبادة تخصّهم أوحى بها إليهم في نفوسهم فرسولهم من ذواتهم إعلام من الله بإلهام خاص جبلهم عليه، كعلم بعض الحيوانات بأشياء يقصر عن إدراكها المهندس النحرير، وعلمهم على الإطلاق بمنافعهم فيما يتناولونه من الحشائش والمآكل وتجنب

ما يضرّهم من ذلك كل ذلك في فطرتهم، كذلك المسمّى جماداً ونباتاً أخذ الله بأبصارنا وأسماعنا عمّا هم عليه من النطق، ولا تقوم الساعة حتى تكلم الرجل فخذه بما فعله أهله جعل الجهلاء من الحكماء هذا إذا صحّ إيمانهم به من باب العلم بالاختلاج يريدون به علم الزجر، وإن كان علم الزجر علماً صحيحاً في نفس الأمر وأنه من أسرار الله، ولكن ليس هو مقصود الشارع في هذا الكلام، فكان له ﷺ الكشف الأتم فيرى ما لا نرى، ولقد نبّه عليه السلام على أمر عمل عليه أهل الله فوجدوه صحيحاً قوله: «لَوْلاَ تَزْيِيدٌ فِي حَدِيثِكُمْ وَتَمْرِيجٌ فِي قُلوبِكُمْ لَرَأَيْتُمْ مَا أَرَىٰ وَلَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ» فخصّ بر تبة الكمال في جميع أموره. ومنها الكمال في العبودية فكان عبداً صرفاً لم يقم بذاته ربانية على أحد وهي التي أوجبت له السيادة وهي الدليل على شرفه على الدوام، وقد قالت عائشة: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ أَحْيَانِهِ» ولنا منه ميراث وافر وهو أمر يختص بباطن الإنسان. وقوله وقد يظهر خلاف ذلك بأفعاله مع تحققه بالمقام فيلتبس على من لا معرفة له بالأحوال، فقد بيّنا في هذا الباب ما مست الحاجة إليه ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝﴾ [الأحزاب: ٤].

الباب الثامن والثلاثون

في معرفة من اطلع على المقام المحمديّ ولم ينله من الأقطاب

بيــن النبــوّة والــولايــة فــارق	لكــن لهــا الشــرف الأتــم الأعظــم
يعنــو لهــا الفلــك المحيــط بســرّه	وكــذلــك القلــم العلــي الأفخــم
إن النبــوّة والــرســالــة كــانتــا	وقــد انتهــت ولهــا السبيــل الأقــوم
وأقــام بيتــاً للــولايــة محكمــاً	فــي ذاتــه فلــه البقــاء الأدوم
لا تطلبنــه نهــايــة يسعــى لهــا	فيكــون عنــد بلــوغــه يتهــدم
صفــة الــدوام لــذاتــه نفسيــة	فهــو الــولــي فقهــره متحكــم
يــأوي إليــه نبيــه ورســولــه	والعــالــم الأعلــى ومــن هــو أقــدم

ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ فَلاَ رَسُولَ بَعْدِي وَلاَ نَبِيَّ» الحديث بكماله. فهذا الحديث من أشد ما جرعت الأولياء مرارته فإنه قاطع للوصلة بين الإنسان وبين عبوديته. وإذا انقطعت الوصلة بين الإنسان وبين عبوديته من أكمل الوجوه انقطعت الوصلة بين الإنسان وبين الله، فإن العبد على قدر ما يخرج به عن عبوديته ينقصه

من تقريبه من سيده لأنه يزاحمه في أسمائه، وأقل المزاحمة الاسمية، فأبقى علينا اسم الولي وهو من أسمائه سبحانه وكان هذا الاسم قد نزعه من رسوله وخلع عليه وسمّاه بالعبد والرسول ولا يليق بالله أن يسمّى بالرسول، فهذا الاسم م خصائص العبودية التي لا تصح أن تكون للرب، وسبب إطلاق هذا الاسم وجود الرسالة والرسالة قد انقطعت فارتة حكم هذا الاسم بارتفاعها من حيث نسبتها بها من الله.

ولما علم رسول الله ﷺ أن في أمّته من يجرع مثل هذا الكأس وعلم ما يطرأ عليهم في نفوسهم من الألم لذلا رحمهم فجعل لهم نصيباً ليكونوا بذلك عبيد العبيد فقال للصحابة: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ» فأمرهم بالتبليغ، كما أمره ا بالتبليغ لينطلق عليهم أسماء الرسل التي هي مخصوصة بالعبيد، وقال ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاهَا كَ سَمِعَهَا» يعني حرفاً حرفاً، وهذا لا يكون إلاّ لمن بلغ الوحي من قرآن أو سنة بلفظه الذي جاء به، وهذا لا يكون إلاّ لنة الوحي من المقرئين والمحدثين ليس للفقهاء ولا لمن نقل الحديث على المعنى كما يراه سفيان الثوريّ وغيره نصيب و حظ فيه، فإن الناقل على المعنى إنما نقل إلينا فهمه في ذلك الحديث النبويّ، ومن نقل إلينا فهمه فإنما هو رسول نف ولا يحشر يوم القيامة فيمن بلغ الوحي كما سمعه وأدّى الرسالة، كما يحشر المقرىء والمحدث الناقل لفظ الرسول ع في صف الرسل عليهم السلام، فالصحابة إذا نقلوا الوحي على لفظه فهم رسل رسول الله ﷺ والتابعون رسل الصح وهكذا الأمر جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، فإن شئنا قلنا في المبلغ إلينا إنه رسول الله، وإن شئنا أضفناه لمن بلغ ع وإنما جوّزنا حذف الوسائط لأن رسول الله كان يخبره جبريل عليه السلام وملك من الملائكة، ولا نقول فيه رسول جبر وإنما نقول فيه رسول الله كما قال الله تعالىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال عزّ وجلّ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] مع قوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣] ومع هذا أضافه الله إلاّ إلى نفسه، فهذا القدر بقي لهم من العبودية وهو خير عظيم امتنّ به عليهم ومهما لم ينقله الشخص بس متصلاً غير منقطع فليس له هذا المقام ولا شمّ له رائحة، وكان من الأولياء المزاحمين الحق في الاسم الوليّ، فنقصه عبوديته بقدر هذا الاسم، فلهذا اسم المحدث بفتح الدال أولى به من اسم الوليّ، فإن مقام الرسالة لا يناله أحد رسول الله ﷺ إلاّ بقدر ما بيّناه فهو الذي أبقاه الحق تعالىٰ علينا.

ومن هنا تعرف مقام شرف العبودية وشرف المحدثين نقلة الوحي بالرواية، ولهذا اشتدّ علينا غلق هذا البا وعلمنا أن الله قد طردنا من حال العبودية الاختصاصية التي كان ينبغي لنا أن نكون عليها. وأمّا النبوّة فقد بيّناها لك تقدم في باب معرفة الأفراد وهم أصحاب الركاب، ثم إنه تعالىٰ من باب طردنا من العبودة ومقامها قال تعالىٰ: قس الصلاة بيني وبين عبدي نصفين. ومن نحن حتى تقع القسمة بيننا وبينه وهو السيد الفاعل المحرك الذي يقوّلنا في قو ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥] وأمثال ذلك ممّا أضافه إلينا، وقد علمنا أن نواصينا بيده في قيامنا وركوعنا وسج وجلوسنا وفي نطقنا. يقول العبد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] يقول الله: حمدني عبدي تفضّلاً فإنه من قوّله بهذه اللفظة وما قدّره حتى يقول السيد: قال عبدي، وقلت له: هذا حجاب مسدل فينبغي للعبد أن يعر لله مكراً خفياً في عباده، وكل أحد يمكر به على قدر علمه بربّه، فيأخذ هذا التكريم الإلهي ابتداء من الله مدرجاً في ن فإذا صلّى وتلا وقال: الحمد لله يقولها حكاية من حيث ما هو مأمور بها لتصحّ عبوديته في صلاته، ولا ينتظر الجواب يقول ليجاب بل يشتغل بما كلّفه سيده به من العمل حتى يكون ذلك الجواب والإنعام من السيد لا من كونه قال القائل على الحقيقة خالق القول فيه فنسلم من هذا المكر وإن كان منزلة رفيعة ولكن بالنظر إلى من هو في غير هذه ال ممّن نزل عنها، فما ورثنا من رسول الله ﷺ من هذا المقام الذي أغلق بابه دوننا إلاّ ما ذكرناه من عناية الحق بمن كش عن ذلك ورزقه علم نقل الوحي بالرواية من كتاب وسنة، فما أشرف مقام أهل الرواية من المقرئين والمحدثين جم

ممّن اختص بنقله من قرآن وسنّة، فإن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، والحديث مثل القرآن بالنص فإنه ﷺ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

وممّن تحقق بهذا المقام معنا أبو يزيد البسطامي كشف له منه بعد السؤال والتضرّع قدر خرق الإبرة فأراد أن يضع قدمه فيه فاحترق فعلم أنه لا ينال ذوقاً وهو كمال العبودة، وقد حصل لنا منه ﷺ شعرة وهذا كثير لمن عرف فما عند الخلق منه إلاّ ظلّه، ولما أطلعني الله عليه لم يكن عن سؤال وإنما كان عن عناية من الله، ثم إنه أيّدني فيه بالأدب رزقاً من لدنه وعناية من الله بي فلم يصدر مني هناك ما صدر من أبي يزيد بل اطلعت عليه وجاء الأمر بالرقي في سلمه فعلمت أنّ ذلك خطاب ابتلاء وأمر ابتلاء لا خطاب تشريف، على أنه قد يكون بعض الابتلاء تشريفاً فتوقفت وسألت الحجاب فعلم ما أردت فوضع الحجاب بيني وبين المقام وشكر لي ذلك فمنحني منه الشعرة التي ذكرناها اختصاصاً إلهياً، فشكرت الله على الاختصاص بتلك الشعرة غير طالب بالشكر الزيادة، وكيف أطلب الزيادة من ذلك وأنا أسأل الحجاب الذي هو من كمال العبودية؟ فسرت في العبودة وظهر سلطانها وحيل بيني وبين مرتبة السيادة لله الحمد على ذلك وكم طلبت إليها وما أجبت، وهكذا إن شاء الله أكون في الآخرة عبداً محضاً خالصاً، ولو ملكني جميع العالم ما ملكت منه إلاّ عبوديته خاصة، حتى يقوم بذاتي جميع عبودية العالم، وللناس في هذا مراتب.

فالذي ينبغي للعبد أن لا يزيد على هذا الاسم غيره، فإن أطلق الله ألسنة الخلق عليه بأنه وليّ الله ورأى أن الله قد أطلق عليه اسماً أطلقه تعالىٰ على نفسه فلا يسمعه ممّن يسميه به إلاّ على أنه بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل حتى يشم فيه رائحة العبودية، فإن بنية فعيل قد تكون بمعنى الفاعل، وإنما قلنا هذا من أجل ما أمرنا أن نتخذه سبحانه وكيلاً فيما هو له ممّا نحن مستخلفون فيه، فإن في مثل هذا مكراً خفياً فتحفظ منه، ويكفي من التنبيه الإلهيّ العاصم من المكر كونك مأموراً بذلك فامتثل أمره واتخذه وكيلاً لا تدعي الملك فإنّ الله تولاّك فإنه قال: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦] واسم الصالح من خصائص العبودية ولهذا وصف محمد ﷺ نفسه بالصلاح فإنه ادّعى حالة لا تكون إلاّ للعبيد الكمّل، فمنهم من شهد له بها الحق عزّ وجلّ بشرى من الله فقال في عبده يحيىٰ عليه السلام: ﴿ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢]. وقال في نبيه عيسىٰ عليه السلام: ﴿ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٦]. وقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٠]. من أجل الثلاثة الأمور التي صدرت منه في الدنيا وهي قوله عن زوجته سارة إنها أخته بتأويل. وقوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٩]، اعتذاراً. وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ [الأنبياء: ٦٣] إقامة حجة، فبهذه الثلاثة يعتذر يوم القيامة للناس إذا سألوه أن يسأل ربه فتح باب الشفاعة فلهذا ذكر صلاحه في الآخرة إذ لم يؤاخذه بذلك كما قال الله تعالىٰ لمحمد ﷺ: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢]. وقال: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] فقدم البشرى قبل العتاب، وهذه عندنا بشرى خاصة ما فيها عتاب بل هو استفهام لمن أنصف وأعطى أهل العلم حقهم.

وأما سليمان وأمثاله عليهم السلام فأخبرنا الحق أنه قال: ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩] وإن كانوا صالحين في نفس الأمر عند الله فهم بين سائل في الصلاح ومشهود له به مع كونه نعتاً عبودياً لا يليق بالله، فما ظنك بالاسم الوليّ الذي قد تسمى الله به بمعنى الفاعل، فينبغي أن لا ينطلق ذلك الاسم على العبد وإن أطلقه الحق عليه فذلك إليه تعالىٰ، ويلزم الإنسان عبوديته، وما يختص به من الأسماء التي لم تنطلق قط على الحق لفظاً فيما أنزله على نبيه ﷺ، فلما أنزل الله تعالىٰ على عبده محمد ﷺ هذه الآية ليعرف الناس بها فكان الله حكى عن نبيّه ﷺ ما لا بدّ له أن يقوله ويتلفظ به فجعله تعالىٰ قرآناً يتلى، إذ كان ذلك من خصائص العبيد في نفس الأمر فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦] فشهد له بالصلاح إذا كان الحق حاكياً في هذه الآية، وإن كان آمراً

فيكون من المشهودين لهم بالصلاح، فعرفنا أن الله تولاّه وأخبرنا أن الله يتولّى الصالحين، فشهد لنفسه بالصلاح بالو
الذي ذكرناه ولم ينقل ذلك عن غيره بل نقل ما يقاربه من قول عيسىٰ عليه السلام: ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِد
وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٣] يقول الله تعالىٰ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقر
٢٥٣] أي فكذلك أنت فكان من فضله نيل مثل هذا المقام، فاحفظ يا وليّ نفسك في التخلّق بأسماء الله الحسنى
العلماء لم يختلفوا في التخلّق بها، فإذا وفقت للتخلّق بها فلا تغب في ذلك عن شهود آثارها فيك ولتكن فيها ومعها بحـ
النيابة عنها فتكون مثل اسم الرسول، لا تشارك الحق في إطلاق اسم عليك من أسمائه بذلك المعنى والزم الأدب ﴿ وَ
رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤].

الفصل الثاني

الامامان الحسن و الحسين (رض)



في معرفة منزل القطب والإمامين من المناجاة المحمدية

منـــزلـــة القطـــب والإمـــامـــه	منـــزلـــة مـــا لهـــا عـــلامـــه
يملكهـــا واحـــد تعـــالـــىٰ	عـــن صفـــة السيـــر والإقـــامـــه
يعلـــوه فـــي لـــونـــه اصفـــرار	فـــي أيمـــن الخـــد منـــه شـــامـــه
خفيـــة مـــا لهـــا نتـــوّ	أيّـــده الله بـــالســـلامـــه
تـــوّجـــه الله بـــالمعـــالـــي	فـــي عـــالـــم الأمـــر فـــي القيـــامـــه

اعلم أيّدك الله بروح منه أن ممّن تحقق بهذا المنزل من الأنبياء صلوات الله عليهم أربعة: محمد وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام. ومن الأولياء اثنان وهما: الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ، وإن كان لمن عدا هؤلاء المذكورين منه شرب معلوم على قدر مرتبته من الإمامة. فاعلم أن الأقطاب والصالحين إذا سمّوا بأسماء معلومة لا يدعون هناك إلاّ بالعبودية إلى الاسم الذي يتولاهم قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] فسمّاه عبد الله وإن كان أبوه قد سمّاه محمد أو أحمد، فالقطب أبداً مختص بهذا الاسم الجامع فهو عبد الله هناك، ثم أنهم يفضل بعضهم بعضاً مع اجتماعهم في هذا الاسم الذي يطلبه المقام، فيختص بعضهم باسم ما غير هذا الاسم من باقي الأسماء الإلهية فيضاف إليه وينادى في غير مقام القطبية كموسىٰ صلّى الله عليه وسلّم اسمه عبد الشكور، وداود عليه السلام اسمه الخاص به عبد الملك، ومحمد ﷺ اسمه عبد الجامع، وما من قطب إلاّ وله اسم يخصه زائد على الاسم العام الذي له الذي هو عبد الله، سواء كان القطب نبياً في زمان النبوّة المقطوع بها أو وليّاً في زمان شريعة محمد ﷺ، وكذلك الإمامان لكل واحد منهما اسم يخصّه ينادى به كل إمام في وقته هناك، فالإمام الأيسر عبد الملك، والإمام الأيمن عبد ربه، وهما للقطب الوزيران، فكان أبو بكر رضي الله عنه عبد الملك، وكان عمر رضي الله عنه عبد ربه في زمان رسول الله ﷺ إلى أن مات ﷺ فسمّي أبو بكر عبد الله، وسمّي عمر عبد الملك، وسمّي الإمام الذي ورث مقامَ عمر عبد ربه ولا يزال الأمر على ذلك إلى يوم القيامة. وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما أمكن الناس في هذا المقام من غيرهما ممّن اتصف به، وجرت السنّة الإلهية في القطب إذا ولي المقام أن يقوم في مجلس من مجالس القربة والتمكين وينصب له فيه تخت عظيم لو نظر إلى بهائه الخلق لطاشت عقولهم فيقعد عليه ويقف بين يديه الإمامان اللذان قد جعلهما الله له ويمدّ يده للمبايعة الإلهية والاستخلاف وتؤمر الأرواح الملكية والجن والبشر الروحاني بمبايعته واحداً بعد واحد، فإنه جلّ جناب الحق أن يكون مصدراً لكل وارد وأن يرد عليه إلاّ واحد بعد واحد، فكل روح يبايعه في ذلك المقام يسأله أعني يسأل الروح القطب عن مسألة من المسائل فيجيبه أمام الحاضرين ليعرفوا منزلته من العلم فيعرفون في ذلك الوقت أي اسم إلهيّ يختصّ به، وقد أفردنا لهذه المبايعة كتاباً كبيراً سميناه مبايعة القطب في حضرة القرب، وذكرنا فيه معيني مسائل كثيرة ممّا سئل عنها فأجاب، ولا تبايعه إلاّ الأرواح المطهرة المقربة، ولا يسأله من الأرواح المبايعة من الملائكة والجن والبشر إلاّ أرواح الأقطاب الذين درجوا خاصة، فذكرنا في ذلك الكتاب سؤالاتهم وجوابه عليها موفى، وهكذا هي حالة كل قطب يبايع في زمانه.

فلنذكر في هذا الباب من بعض أحواله العامّة لكل قطب دون الأحوال الخاصة به ليعلم الواقف على كتابي هذا صاحب الذوق المشاهد إياه أنا ما عدلنا في كتابنا هذا عن الطريقة التي لا يجهلها كل عارف من أهل هذا الشأن، فلو ذكرنا الحال الخاص به ربما كان يقول: هذه دعوى فلنبدأ أوّلاً بحال الإمام الأقصى ثم الإمام الأدنى، ثم القطب، فأمّا الإمام الأقصى وهو عبد ربه فإن حاله البكاء شفقة على العالم لما يراهم عليه من المخالفات وينظر إلى توجه الأسماء الإلهيّة التي تقتضي العقاب والأخذ، ولا يتجلى له من الأسماء الإلهيّة ما تقتضيه المخالفات من العفو والتجاوز فلهذا يكثر بكاؤه، فلا يزال داعياً لعباد الله رحيماً بهم

سائلاً الله سبحانه أن يسلك بهم طريق الموافقات، ولقد عاينت في بعض سياحاتي هذا الإمام فما رأيت ممّن رأيت من الصالحين أشدّ خوفاً منه على عباد الله ولا أعظم رحمة فقلت له: لم لا تأخذك الغيرة لله؟ فقال: إني لا أريد أن يغار الله من أجلي ولكن أريد أن يسأل الله من أجلي ليرحمني ويتجاوز فلا أحب لعباد الله إلاّ ما أحبه لنفسي، ولا ينبغي للصادق مع الله أن يتصوّر في صورة حال لا يعطيه مقامه، ولهذا الإمام قوّة سلطان على الشياطين الملازمين أهل الخير والصلاح ليصرفوهم عن طريقهم فإذا وقع نظر الشيطان على هذا الإمام وهو عند بعض الصالحين يحتال كيف يصرفه عن طريقته يذوب كما يذوب الرصاص في النار فيناديه الإمام باسمه عسى يسلم فيدبر هارباً، فلا يزال ذلك الصالح محفوظاً من إلقاء هذا الصنف من الشياطين إليه ما يخرجه عن صلاحه ما دام هذا الإمام حاضراً ناظراً إليه وإن كان ذلك الصالح لا يعرفه ولا يعرف ما جرى، وقد عاينا هذه الطائفة فيدفع الله عن عباده بهذا الإمام الشرور التي تختص بالصالحين من عباده خاصة عناية منه بهم.

ومن خاصية هذا الإمام التصديق بكل خبر مخبر به عن الله سواء كان ذلك المخبر صادقاً في أخباره أو مفترياً، فإن هذا الإمام يصدقه لكونه ناظراً إلى الاسم الإلهيّ الذي يتولى هذا المخبر في أخباره، فإن كان صادقاً فأخباره عن كشف محقق فيستوي هو والإمام في ذلك، وإن لم يكن له كشف وأخبر عمّا وقع عنده وهو لا يدري من أوقعه ويقصد الكذب فإن هذا الإمام يصدقه في أخباره، والمخبر معاقب من الله محروم بقصده الكذب وهو في نفس الأمر ليس كذلك، فوبال قصده عاد عليه فعذب أن آخذه الله بذلك.

ومن أحوال هذا الإمام أن يسأل دائماً الانتقال إلى مقام المشاهدة من الأحوال ومقام الصلاح من المقامات وله اطلاع دائم إلى الجنان، وإنما خصّه الله بهذا الإطلاع إبقاء عليه فيقابل ما هو عليه من البكاء والحزن المؤدّي إلى القنوط بما يراه ويطلعه الله عليه من سرور الجنان ونعيم أهله فيه ويعاين اشتياق أهله إليه وانتظارهم لقدومه، فيكون ذلك سبباً لاعتداله، ومقام هذا الإمام الإحسان الأوّل وهو قول جبريل عليه السلام لرسول الله عليه الصلاة والسلام ما الإحسان؟ وجوابه ﷺ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، والذي بعده ليس لهذا الإمام، وبيد هذا الإمام مصالح العالم وما ينتفعون به وهو يربي الأفراد ويغذيهم بالمعارف الإلهية، ويقسم المعارف على أهلها بميزان محقق على قدر ما يرى فيه صلاح ذلك العارف لتحيا بتلك المعرفة نفسه، وله السيادة على الثقلين والحكم والتصرّف فيهما بما تعطيه المصلحة لهم، ومن خصائص هذا الإمام الإقامة على كل ما يحصل له من الأحوال والمقامات وليس ذلك لكل أحد فما يتصف بحال فينتقل عنه ولا بمقام، وغير هذا الإمام إذا انتقل إلى مقام أو حال حكم عليه سلطان ذلك المقام والحال وغيبه عما انتقل عنه وهذا الإمام ليس كذلك، فإن المقام الذي انتقل عنه محفوظ عليه لا يغيب عنه قوّة إلهية خصّه الله بها ولروحه من الأجنحة مائتا جناح وأربعة أجنحة أي جناح نشر منها طار به حيث شاء، وله قدم في المرتبة الثالثة والأولى، ويدعى في بعض الأحايين بالبر الرحيم، وكانت بدايته من المرتبة الثالثة ونهايته إلى المرتبة الأولى، فكانت طريقته من غايته إلى بدايته بخلاف السلوك المعروف، فرجع القهقرى بقطع المقامات والدرجات والمنازل، فمن نهايته إلى بدايته تسعة عشر منزلاً فيها منزل البداية والنهاية، فتمّ منزل درجاته مائة وإثنتان وعشرة وتسعون وعشرون وثلاثة وأربعة وثلاثون وخمسة وأربعون وستة وخمسون وسبعة وستون وثمانية وسبعون وثمانون وتسعة ومائتان.

ولما كانت المراتب أربعاً لا زائد عليها وكل مرتبة تقتضي أموراً لا نهاية لها من علوم وأسرار وأحوال، فالمرتبة الأولى إيمان، والثانية ولاية، والثالثة نبوّة، والرابعة رسالة، والرسالة والنبوّة وإن انقطعت في هذه الأمة بحكم التشريع فما انقطع الميراث منهما، فمنهم من يرث نبوّة، ومنهم من يرث رسالة ونبوّة معاً، وإذ قد ذكرنا ما لهذا الإمام الأقصى فلنذكر ما للإمام الأدنى وهو عبد الملك فنقول ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] أن لهذا الإمام من جهة روحانيته من الأجنحة تسعين جناحاً أي جناح نشر منها طار به حيث شاء، وكانت بدايته ونهايته في المرتبة الثانية ليس له قدم في باقي المراتب الثلاث، فلم يكن له منازل ولا درجات ولا مقامات يقطعها، ولهذا الإمام الشدّة والقهر وله التصرّف بجميع الأسماء الإلهيّة التي تستدعي الكون مثل: الخالق والرازق والملك والبارىء على بعض وجوهه وغير ذلك، وليس له تصرّف بأسماء التنزيه بخلاف الإمام الذي تقدم ذكره، ويلجأ إليه في الشدائد والنوازل الكبار فيفرجها الله على يده فإن الله قد جعل له عليها سلطاناً وله الكرم وليس له الإيثار لنزاهته عن الحاجة إلى ما يقع به الإيثار، وله الإنعام على الخلق من حيث لا يشعرون، ولقد أنعم عليّ هذا ببشارة بشرني بها وكنت لا أعرفها في حال

وكانت حالي فأوقفني عليها ونهاني عن الإنتماء إلى من لقيت من الشيوخ وقال لي: لا تنتم إلاّ لله فليس لأحد ممّن لقيته عليك يد ممّا أنت فيه بل الله تولاك بعنايته، فاذكر فضل من لقيت إن شئت ولا تنتسب إليهم وانتسب إلى ربك، وكان حال هذا الإمام مثل حالي سواء لم يكن لأحد ممّن لقيه عليه يد في طريق الله إلاّ لله، هكذا نقل لي الثقة عندي عنه، وأخبرني الإمام بذلك عن نفسه عند اجتماعي به في مشهد برزخي اجتمعت به فيه لله الحمد والمنة على ذلك، وولاة أمور الخلق راجعون إلى هذا الإمام فيولي ويعزل ويدفع الله به الشرور، وله سلطان قوي على الأرواح النارية من الشياطين المبعودين من رحمة الله، ويجتمع مع الإمام الأوّل الأقصى في درجة واحدة من خمس درجات وينفرد عنه الإمام الأقصى بأربع درجات، وقد ذكرنا من أحواله في جزء لنا في معرفة القطب والإمامين ما فيه كفاية، فلنقتصر على ما قد ذكرناه رغبة في الاختصار.

وإذ قد ذكرنا من أحوال الإمامين هذا القدر فلنذكر أيضاً من حديث القطب ما تقع به الكفاية في هذه العجالة إن شاء الله، فأما القطب وهو عبد الله وهو عبد الجامع فهو المنعوت بجميع الأسماء تخلقاً وتحققاً، وهو مرآة الحق، ومجلى النعوت المقدسة، ومجلى المظاهر الإلهية، وصاحب الوقت وعين الزمان وسرّ القدر، وله علم دهر الدهور الغالب عليه الخفاء محفوظ في خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون، لا تعتريه شبهة ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه، كثير النكاح راغب فيه محب للنساء، يوفي الطبيعة حقها على الحدّ المشروع له، ويوفي الروحانية حقّها على الحدّ الإلهيّ، يضع الموازين ويتصرّف على المقدار المعين، الوقت له ما هو للوقت، هو لله لا لغيره حاله العبودية والافتقار، يقبح القبيح، ويحسن الحسن، يحب الجمال المقيد في الزينة والأشخاص، تأتيه الأرواح في أحسن الصور، يذوب عشقاً، يغار لله ويغضب لله، لا تتقيد له المظاهر الإلهية بالتدبير بل له الإطلاق فيها، فتظهر له في تدبير المدبر روحانيته من البشر المحسوس من خلف حجاب الشهادة والغيب، لا يرى من الأشياء إلاّ وجه الحق، فيها يضع الأسباب ويقيمها ويدل عليها ويجري بحكمها، ينزل إليها حتى تحكم عليه وتؤثر فيه، لا يكون فيه ربانية بوجه من الوجوه، مصاحب لهذا الحال دائماً إن كان صاحب دنيا وثروة تصرّف فيها تصرّف عبد في مال سيد كريم وإن لم يكن له دنيا وكان على ما يفتح له لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة إلى بعض ما تحتاج إليه طبيعته بيت صديق ممّن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج إليه طبيعته كالشفيع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج إليه وينصرف، لا يجلس عن حاجته إلاّ من ضرورة، فإذا لم يجد لجأ إلى الله في حاجة طبيعته لأنه مسؤول عنها لكونه والياً عليها، ثم ينتظر الإجابة من الله فيما سأله، فإن شاء أعطاه ما سأل عاجلاً أو آجلاً، فمرتبته الإلحاح في السؤال والشفاعة في حق طبيعته بخلاف أصحاب الأحوال فإن الأشياء تتكوّن عن همتهم وطرحهم الأسباب عن نفوسهم، فهم ربانيون، والقطب منزّه عن الحال ثابت في العلم مشهود فيه فيتصرّف به، فإن أطلعه الحق على ما يكون أخبر بذلك على جهة الافتقار والمنة لله لا على جهة الافتخار، لا تطوى له أرض، ولا يمشي في هواء ولا على ماء، ولا يأكل من غير سبب، ولا يطرأ عليه شيء ممّا ذكرناه من خرق العوائد، وما تعطيه الأحوال إلاّ نادراً لأمر يراه الحق فيفعله، لا يكون ذلك مطلوباً للقطب بجوع اضطراراً لا اختياراً ويصبر عن النكاح، كذلك لعدم الطول يعلم من تجلي النكاح ما يحرّضه على طلبه والتعشّق به، فإنه لا يتحقق له ولا لغيره من العارفين عبوديته أكثر ممّا يتحقق له في النكاح لا في أكل ولا في شرب ولا في لباس لدفع مضرة، ولا يرغب في النكاح للنسل بل لمجرد الشهوة، وإحضار التناسل في نفسه لأمر مشروع، والتناسل في ذلك للأمر الطبيعي لحفظ بقاء النوع في هذه الدار، فإن نكاح صاحب هذا المقام كنكاح أهل الجنة لمجرّد الشهوة، إذ هو التجلي الأعظم الذي خفي عن الثقلين إلاّ من اختصه الله به من عباده، وعلى هذا يجري نكاح البهائم لمجرّد الشهوة، لكن غاب عن هذه الحقيقة كثير من العارفين فإنه من الأسرار التي لا يقف عليها إلاّ القليل من أهل العناية، ولو لم يكن فيه من الشرف التام الدال على ما تستحقه العبودية من الضعف إلاّ ما يجد فيه من قهر اللذة المفنية له عن قوّته ودعواه، فهو قهر لذيذ إذ القهر مناف للالتذاذ به في حق المقهور، لأن اللذة في القهر من خصائص القاهر لا من خصائص المقهور إلاّ في هذا الفعل خاصة، وقد غاب الناس عن هذا الشرف وجعلوه شهوة حيوانية نزهوا نفوسهم عنها مع كونهم سمّوها بأشرف الأسماء وهو قولهم حيوانية أي هي من خصائص الحيوان، وأي شرف أعظم من الحياة، فما اعتقدوه قبحاً في حقهم هو عين المدح عند العارف المكمل هذا مضى بسبيله.

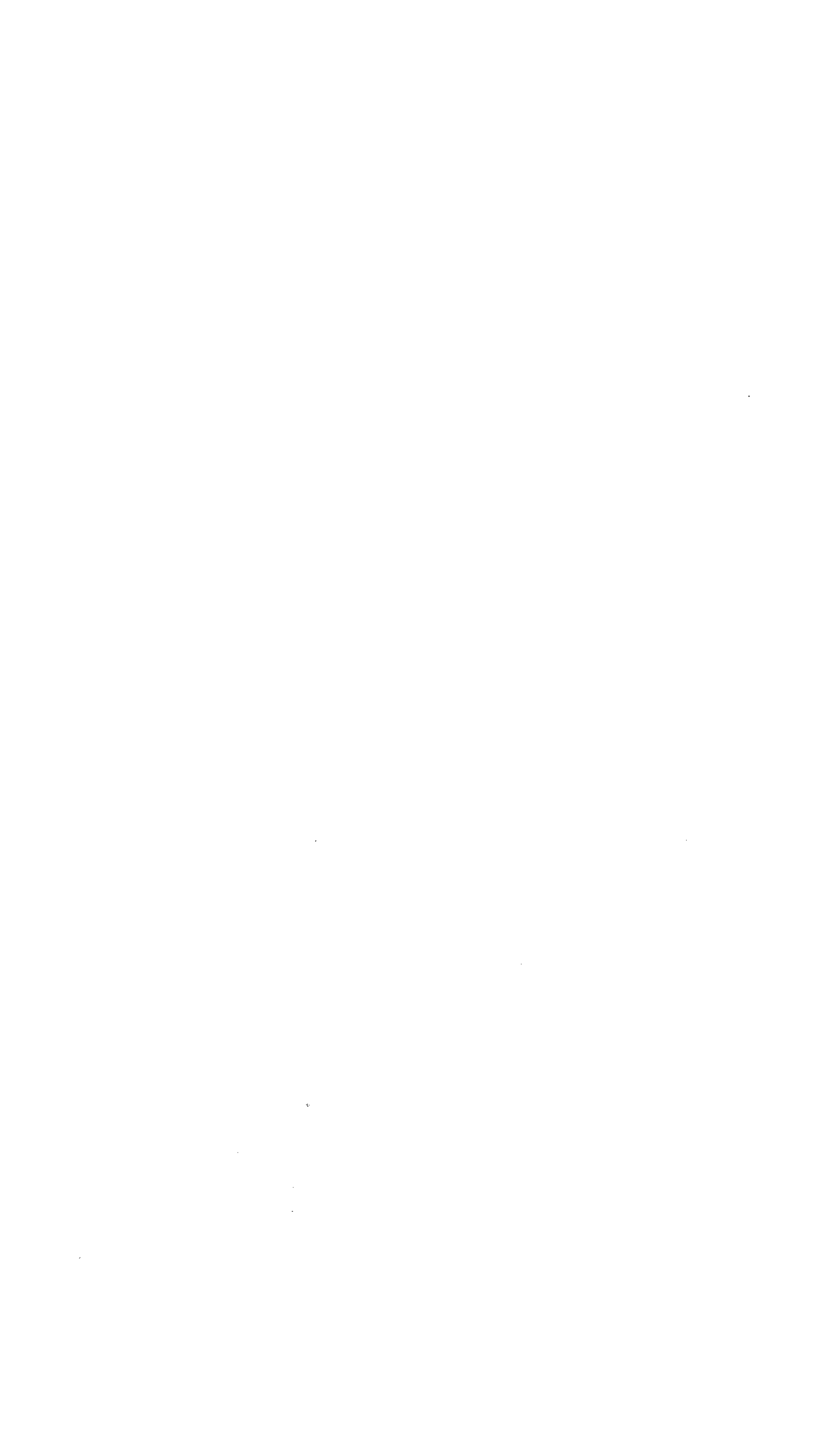
وأما حب القطب الجمال المقيد المندرج في الجمال المطلق فذلك لقربه في المناسبة إلى الجمال، فلا يحتاج فيه إلى غور بعيد وقوّة يشق بها حجاب قبح الطبع إلى إدراك الجمال الإلهيّ المودع في ذلك القبح، فالجمال المقيد يعطيه بأوّل وهلة مقصوده

حتى يتفرّغ إلى أمر آخر آكد عليه من مقاومة القبح الطبيعيّ لإدراك الجمال المطلق، إذ الأنفاس عزيزة في دار التكليف، ويريد أن لا يكون له نفس إلاّ وقد تلقاه بأحسن أدب وصرفه بأحسن خلعة وزينة، وقد غاب عن هذا القدر من المعرفة جماعة من العارفين وأنفت نفوسهم من ذلك لمشاركة أهل الأغراض من العامة فيه، وما علموا أن هذا الرجل له مشاهدة الجمال المطلق في الجمال المقيد وفي غيره بخلاف العامة.

واعلم أن القطب هو الرجل الكامل الذي قد حصل الأربعة الدنانير الذي كل دينار منها خمسة وعشرون قيراطاً وبها توزن الرجال، فمنهم ربع رجل ونصف وثمن وسدس ونصف سدس وثلاثة أرباع ورجل كامل، فالدينار الواحد للمؤمن الكامل، والدينار الثاني للوليّ الخاص، والدينار الثالث للنبوّتين، والدينار الرابع للرسالتين أعني الأصلية بحكم الأبوة والوراثة بحكم البنوة، فمن حصل الثاني كان له الأوّل، ومن حصل الثالث كان له الثاني والأوّل، ومن حصل الرابع حصل الكل، والقطب من الرجال الكمل، وإنما قلنا من الرجال الكمل من أجل الأفراد فإنهم مكملون، ومن أحوال القطب تقرير العادات والجري عليها ولا يظهر عليه خرق عادة دائماً كما يظهر على صاحب الحال، ولا يكون خرق العادة مقصوداً له بل تظهر منه ولا تظهر عنه، إذ لا اختيار له في ذلك كما قال العارف أبو السعود بن الشبل في الرجل يتكلم على الخاطر وما هو مع الخاطر فيكون في حقه بحكم الاتفاق الوجودي وفي حق الله بحكم الإرادة والقصد، فقد بيّنا بحمد الله الضروري الخاص من أحوال القطب وبيّنا رتبته لمن جهلها، وأن الرجولية ليست فيما يتخيله الجهال من عامّة الطريق بطريق الله، فينحجبون بالحال عمّا يقتضيه العلم والمقام فيقولون: كل علم لا يكون بالحال فليس بشيء، فقل له: لا تقل ذلك يا أخي فإنه خلاف الأمر وإنما الصحيح أن تقول: كل علم لا يكون عن ذوق فليس بعلم أهل الله، فأراك لا تفرق بين الحال والذوق، وما ثم علم قط إلاّ عن ذوق لا يكون غير هذا، والمتمكن في العبودة لا حال له البتة يخرجه عن عبودته، فلو لم يكن في الأحوال من النقص إلاّ أنها تخرج العبد عن مقامه إلى ما لا يستحقه ولا هو حق له حتى أنه لو مات في حال الحال لمات صاحب نقص وحشر صاحب نقص، فليست الأحوال من مطالب الرجال لكن الأذواق مطالبهم وهي لهم لما يحصل لهم فيها من العلوم بمنزلة الأدلة لأصحاب النظر فيها، فالله يجعلنا ممّن فهم ففهم عن الله مراده، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وفي هذا الباب من العلوم علم ما يستند إليه من الحضرة الإلهية، وعلم نسبة بني آدم إلى الله من أسماء مخصوصة، وعلم ما يتقى ويحذر من العالم الروحاني، وعلم رجعة العالم الروحاني من أين وإلى أين، وعلم الصدور البشرى.

الفصل الثالث

الاثني عشر نقيبا



في معرفة الإثني عشر قطباً الذين يدور
عليهم عالم زمانهم

منتهى الأسماء في العدد	لإثنتي عشر مع العقد
فبهم حفظ الوجود وما	في وجود الحق من عدد
وهو المنعوت بالعدد	وهو المنعوت بالأحد
ظهرت أحكام نشأتهم	في التي قامت بلا عمد
تمّ في الأركان حكمهمو	في أب منها وفي ولد

قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] وعرفه فقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] يقول: يميلون عن أسمائه لا بل يقول: يميلون في أسمائه إلى غير الوجه الذي قصد بها ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] من ذلك فكل يجزى بما مال إليه فيما أوحينا يقول: ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٠٦] ولا تمل بميلهم فإني خلقتك متبعاً لا متبعاً اسم مفعول لا اسم فاعل، ولذلك قال له عند ذكر الأنبياء: ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠] لا بهم وهداهم ليس سوى شرع الله فقال: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾ [الشورى: ١٣] وذكر من ذكر فكان الشارع لنا الله الذي شرع لهم فلو أخذ عنهم لكان تابعاً فافهم.

فأقطاب هذه الأمة اثنا عشر قطباً عليهم مدار هذه الأمة، كما أن مدار العالم الجسميّ والجسمانيّ في الدنيا والآخرة على اثني عشر برجاً قد وكلهم الله بظهور ما يكون في الدارين من الكون والفساد المعتاد وغير المعتاد، و أما المفردون فكثيرون والختمان منهم أي من المفردين فما هما قطبان، وليس في الأقطاب من هو على قلب محمد ﷺ. وأما المفردون فمنهم من هو على قلب محمد ﷺ والختم منهم أعني خاتم الأولياء الخاص. فأما الأقطاب الإثنا عشر فهم على قلوب الأنبياء عليهم السلام فالواحد منهم على قلب وإن شئت قلت على قدم وهو أولى فإني هكذا رأيته في الكشف بإشبيلية وهو أعظم في الأدب مع الرسل والأدب مقامنا، وهو الذي أرتضيه لنفسي ولعباد الله، فنقول: إن الأوّل أعني واحداً منهم على قدم نوح عليه السلام. والثاني: على قدم إبراهيم الخليل عليه السلام. والثالث: على قدم موسىٰ عليه السلام. والرابع: على قدم عيسىٰ عليه السلام. والخامس: على قدم داود عليه السلام. والسادس: على قدم سليمان عليه السلام. والسابع: على قدم أيوب عليه السلام. والثامن: على قدم إلياس عليه السلام. والتاسع: على قدم لوط عليه السلام. والعاشر: على قدم هود عليه السلام. والحادي عشر: على قدم صالح عليه السلام. والثاني عشر: على قدم شعيب عليه السلام. ورأيت جميع الرسل والأنبياء كلهم مشاهدة عين، وكلمت منهم هوداً أخا عاد دون الجماعة، ورأيت المؤمنين كلهم مشاهدة عين أيضاً من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة أظهرهم الحق لي في صعيد واحد في زمانين مختلفين، وصاحبت من الرسل وانتفعت به سوى محمد ﷺ جماعة منهم إبراهيم الخليل قرأت عليه القرآن، وعيسىٰ تبت على يديه، وموسىٰ أعطاني علم الكشف والإيضاح وعلم تقليب الليل والنهار، فلما حصل عندي زال الليل وبقي النهار في اليوم كله فلم تغرب لي شمس ولا طلعت، فكان لي هذا الكشف إعلاماً من الله أنه لا حظ لي في الشقاء في الآخرة، وهود عليه السلام سألته عن مسألة فعرفني بها فوقعت في الوجود كما عرفني بها هذا إلى زماني هؤلاء، وعاشرت من الرسل محمداً ﷺ وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وهوداً وداود وما بقي فرؤية لا صحبة.

واعلم أن كل قطب من هؤلاء الأقطاب له لبث في العالم أعني دعوتهم فيمن بعث إليهم آجال مخصوصة مسماة تنتهي إليها، ثم تنسخ بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع وأعني بدعوتهم ما لهم من الحكم والتأثير في العالم، فلنذكر مدد أعمارهم في

حياتهم الدنيا. فمنهم من كان عمره في ولايته ثلاثة وثلاثين سنة وأربعة أشهر. ومنهم من كانت مدته ثلاثين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً. ومنهم من دامت مدته ثمانياً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام. ومنهم من دامت مدته خمساً وعشرين سنة. ومنهم من دامت مدته اثنتين وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وعشرين يوماً. ومنهم من دامت مدته تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام. ومنهم من دامت مدته ستة عشر سنة وثمانية أشهر. ومنهم من دامت مدته ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً. ومنهم من دامت مدته إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام. ومنهم من دامت مدته سنتين وتسعة أشهر وعشرة أيام. ومنهم من دامت مدته ثمان سنين وأربعة أشهر. ومنهم من دامت مدته خمس سنين وستة أشهر وعشرين يوماً وهجيرهم واحد وهو الله، الله بسكون الهاء وتحقيق الهمزة ما لهم هجير سواه، وما عدا هؤلاء الأقطاب من أقطاب القرى والجهات والأقاليم وشيوخ الجماعات فأنواع كثيرة وهي التي أذكر منها في هذا الفصل ما تيسّر، وما أذكر ذلك إلاّ لأجل نتيجة ذلك الذكر لمن دام عليه على الحال المعروفة في الذكر في ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ولو لم نقصد ذلك لم يكن في ذكري وتعييني له في هذا الكتاب منفعة، فلنذكر أوّلاً من أحوال هؤلاء الأقطاب ما تيسّر مع أحدية هجيرهم، وإنما توحد لتوحد مقام القطبية فذلك هو هجير القطبية لا هجير الشخص، ولكل واحد منهم هجير في أوقات خلاف هذا، وقال عليه السلام: «لا تقوم الساعة حتى لا يبقى في الأرض من يقول: الله الله» يريد لا يبقى قطب يكون عليه مدار العالم ولا مفرد يحفظ الله بهمته العالم وإن لم يكن قطباً فلا تقوم الساعة إلاّ على أشرار الناس.

فأما أحد الأقطاب فهو على قدم نوح عليه السلام فله من سور القرآن سورة يس فإنه لكل قطب سورة من القرآن من هؤلاء الإثني عشر، وقد يكون لمن سواهم من الأقطاب الذين ذكرناهم السورة من القرآن والآية الواحدة من القرآن، وقد يكون للواحد منهم ما يزيد على السورة، وقد يكون منهم من له القرآن كله كأبي يزيد البسطاميّ ما مات حتى استظهر القرآن. فلنذكر ما يختص به هؤلاء الإثنا عشر من سور القرآن، فهذا القطب الواحد له سورة ﴿يسٓ﴾ [يس: ١] وهو أكمل الأقطاب حكماً جمع الله له بين الصورتين الظاهرة والباطنة، فكان خليفة في الظاهر بالسيف وفي الباطن بالهمة ولا أسميه ولا أعينه فإني نهيت عن ذلك وعرفت لأي أمر منعت من تعيينه باسمه، وليس في جماعة هؤلاء الأقطاب من أوتي جوامع ما تقتضيه القطبية غير هذا، كما أوتي آدم عليه السلام جميع الأسماء، كما أوتي محمد ﷺ جوامع الكلم، ولو كان ثم قطب على قدم محمد ﷺ لكان هذا القطب إلاّ أنه ما ثم أحد على قدم محمد ﷺ إلاّ بعض الأفراد الأكابر ولا يعرف لهم عدد وهم أخفيا في الخلق أبرياء علماً بالله لا يرزؤون ولا يعرفون فيرزؤن مقامهم الحفظ فيما يعلمون، لا يدخل عليهم في علمهم شبهة تحيرهم فيما علموه بل هم على بينة من ربهم هذا حال الأفراد.

فلنرجع إلى ذكر هذا القطب فنقول: إن منازله عند الله على عدد آيات هذه السورة، وكذلك كل قطب منازله على عدد آيات سورته وسورهم معلومة أذكرها جملة ثم أذكرها إن شاء الله تعالىٰ، فالواحد له كما قلنا سورة ﴿يسٓ﴾ [يس: ١]. والثاني: سورة الإخلاص. والثالث: سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [النصر ١] والرابع: سورة ﴿الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]. والخامس: سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١]. والسادس: سورة البقرة. والسابع: سورة المجادلة. والثامن: سورة آل عمران. والتاسع: سورة الكهف وهو الذي يقتله الدجال ويدرك عيسىٰ عليه السلام. والعاشر: سورة الأنعام. والحادي عشر: سورة طه. وهذا القطب هو نائب الحق تعالىٰ كما كان علي بن أبي طالب نائب محمد ﷺ في تلاوة سورة براءة على أهل مكة، وقد كان بعث بها أبا بكر ثم رجع عن ذلك فقال: لا يبلغ عني القرآن إلاّ رجل من أهل بيتي فدعا بعلي فأمره فلحق أبا بكر فلما وصل إلى مكة حج أبو بكر بالناس وبلغ عليّ إلى الناس سورة براءة وتلاها عليهم نيابة عن رسول الله ﷺ، وهذا ممّا يدلك على صحة خلافة أبي بكر الصديق ومنزلة عليّ رضي الله عنهما. والثاني عشر: سورة تبارك الملك. فهذه سور الأقطاب من القرآن، إلاّ أن صاحب سورة المجادلة التي هي: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١] إنما هو سورته الواقعة وله تولع بهذه السورة. وكذلك الذي له سورة الإخلاص لا غير ومنازلهم كما قد ذكرنا، غير أن المنازل بحسب الآيات ومن ذكر وما ذكر فيها، فإن التفاضل في الآيات مشهور على الوجه الذي جاء، وفضلها يرجع إلى التالي من حيث ما هي عليه الآية في التلاوة متكلم بها لا من حيث أنها كلام الله، فإن ذلك لا تفاضل فيه، وإنما التفاضل يكون فيما تكلم به لا في كلامه فاعلم ذلك.

فأما حال هذا القطب فله التأثير في العالم ظاهراً وباطناً يشيد الله به هذا الدين أظهره بالسيف وعصمه من الجور فحكم بالعدل الذي هو حكم الحق في النوازل، وربما يقع فيه من خالف حكمه من أهل المذاهب مثل الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة ومن انتمى إلى قول إمام لا يوافقها في الحكم هذا القطب وهو خليفة في الظاهر، فإذا حكم بخلاف ما يقتضيه أدلة هؤلاء الأئمة قال أتباعهم بتخطئته في حكمه ذلك وأثموا عند الله بلا شك وهم لا يشعرون، فإنه ليس لهم أن يخطئوا مجتهداً لأن المصيب عندهم واحد لا بعينه، ومن هذه حاله فلا يقدم على تخطئة عالم من علماء المسلمين، كما تكلم من تكلم في إمارة أسامة وأبيه زيد بن حارثة حتى قال في ذلك رسول الله ﷺ ما قال، فإذا طعن فيمن قدمه رسول الله ﷺ وأمره ورجحوا نظرهم على نظر رسول الله ﷺ فما ظنك بأحوالهم مع القطب وأين الشهرة من الشهرة؟ هيهات فزنا وخسر المبطلون، فوالله لا يكون داعياً إلى الله إلاّ من دعا على بصيرة لا من دعا على ظنّ وحكم به، لا جرم أن من هذه حاله حجر على أمّة محمد ﷺ ما وسع الله به عليهم، فضيق الله عليهم أمرهم في الآخرة وشدّد الله عليهم يوم القيامة المطالبة والمحاسبة لكونهم شدّدوا على عباد الله أن لا ينتقلوا من مذهب إلى مذهب في نازلة طلباً لرفع الحرج، واعتقدوا أن ذلك تلاعب بالدين وما عرفوا أنهم بهذا القول قد مرقوا من الدين، بل شرع الله أوسع وحكمه أجمع وأنفع ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات: ٢٥] ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٦] هذا حال هؤلاء يوم القيامة فلا يؤذن لهم فيعتذرون.

ولهذا القطب مقام الكمال فلا يقيده نعت هو حكيم الوقت لا يظهر إلاّ بحكم الوقت، وبما يقتضيه حال الزمان الإرادة بحكمه ما هو بحكم الإرادة فله السيادة وفيه عشر خصال: أوّلها الحلم مع القدرة لأن له الفعل بالهمة فلا يغضب لنفسه أبداً، وإذا انتهكت محارم الله فلا يقوم شيء لغضبه فهو يغضبُ لله. والثانية: الأناة في الأمور التي يحمد الله الأناة فيها مع المسارعة إلى الخيرات فهو يسارع إلى الأناة ويعرف مواطنها. والثالثة: الاقتصاد في الأشياء فلا يزيد على ما يطلبه الوقت شيئاً فإن الميزان بيده يزن به الزمان والحال فيأخذ من حاله لزمانه ومن زمانه لحاله فيخفض ويرفع. والرابعة: التدبير وهو معرفة الحكمة فيعلم المواطن فيلقاها بالأمور التي تطلبها المواطن كما فعل أبو دجانة حين أعطاه النبيّ ﷺ السيف بحقه في بعض غزواته فمشى به الخيلا بين الصفين فقال رسول الله ﷺ وهو ينظر إلى زهوه: «هٰذِهِ مِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا الله وَرَسُولُهُ إلاّ فِي هٰذَا المَوْطِنِ» ولهذا كان مشي رسول الله ﷺ فيه سرعة كأنما ينحط في صبب، فصاحب التدبير ينظر في الأمور قبل أن يبرزها في عالم الشهادة فله التصرّف في عالم الغيب فلا يأخذ من المعاني إلاّ ما تقتضيه الحكمة فهو الحكيم الخبير، فما ينبغي أن يبديه مجملاً أبداه مجملاً، وما ينبغي أن يبديه مفصلاً أبداه مفصلاً، وما ينبغي أن يبديه محكماً أبداه محكماً، وما ينبغي أن يبديه متشابهاً أبداه متشابهاً. والخصلة الخامسة: التفصيل وهو العلم بما يقع به الامتياز بين الأشياء ممّا يقع به الاشتراك، فينفصل كل أمر عن مماثله ومقابله وخلافه، ويأتي إلى الأسماء الإلهية القريبة التشابه كالعليم والخبير والمحصي والمحيط والحكيم وكلها من أسماء العلم وهي بمعنى العليم، غير أن بين كل واحد وبين الآخر دقيقة وحقيقة يمتاز بها عن الباقي، هكذا في كل اسم يكون بينه وبين غيره مشاركة. والسادسة: العدل وهو أمر يستعمل في الحكومات والقسمة والقضايا وإيصال الحقوق إلى أهلها وهو في الحقوق شبيه بما ذكر الله عن نفسه أنه أعطى كل شيء خلقه، وقوله في موسى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠] وقوله في ناقة صالح: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥] ويتعلق به علم الجزاء في الدارين والعدل بين الجناية والحد والتعزير. والسابعة: الأدب وهو العلم بجوامع الخيرات كلها في كل عالم وهو العلم الذي يحضره في البساط ويمنحه المجالسة والشهود والمكالمة والمسامرة والحديث والخلوة والمعاملة بما في نفس الحق في المواطن من الجلوة، فهذا وأمثاله هو الأدب. والثامنة: الرحمة ومتعلقها منه كل مستضعف وكل جبار فيستنزله بحرمته ولطفه من جبروته وكبريائه وعظمته بأيسر مؤنة في لين وعطف وحنان. والتاسعة: الحيا فيستحي من الكاذب عن الكاذب ويظهر له بصورة من صدقه في قوله: لا يظهر له بصورة من تعامى عنه حتى يعتقد فيه الكاذب أنه قد مشى عليه حديثه وأنه جاهل بمقامه وبما جاء به فيذل في شغله ثم لا يكون في حقه عند ربه إلاّ واسطة خير يدعو له بالتجاوز فيما بينه وبين الله عند الوقوف والسؤال يوم القيامة، وقد ورد في الخبر: «إنَّ الله يَوْمَ القِيَامَةِ يَدْعُو بِشَيْخٍ فَيَقُولُ لَهُ ما فَعَلْتَ؟ فَيَقُولُ مِنَ المُقَرّبَاتِ ما شَاءَ الله وَالله يَعْلَمُ أنَّهُ كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ فَيَأمُرُ بِهِ إلَى الجَنَّةِ فَتَقُولُ المَلائِكَةُ: يا رَبِّ إنَّهُ كَذَبَ فِيمَ ادَّعَاهُ، فَيَقُولُ الحَقُّ: قَدْ عَلِمْتُ ذٰلِكَ ولكني اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ أَنْ أُكَذِّبَ شَيْبَتَهُ» وما أوصل إلينا رسول الله ﷺ هذا الخبر عن الله إلاّ لنكون بهذه الصفة فنحن أحق بها لحاجتنا أن

يعاملنا الحق بها. والعاشرة: الإصلاح وأعظمه إصلاح ذات البين وهو قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: ١] وقد ورد في الخبر: «إنَّ الله يُصْلِحُ بَيْنَ عِبَادِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُوقِفُ الظَّالِمَ وَالمَظْلُومَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْحُكُومَةِ وَالإنْصَافِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُمَا: ارْفَعَا رُؤُوسَكُمَا فَيَنْظُرَانِ إلى خَيْرٍ كَثِيرٍ فَيَقُولاَنِ: لِمَنْ هٰذا الخَيْرُ؟ فَيَقُولُ الله لَهُمَا: لِمَنْ أَعْطَانِي الثَّمَنَ، فَيَقُولُ المَظْلُومُ: يَا رَبِّ وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَىٰ ثَمَنِ هٰذا؟ فَيَقُولُ الله لَهُ: أَنْتَ بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ هٰذا، فَيَقُولُ المَظْلُومُ يا رَبِّ قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ الله لَهُ: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلاَ الجَنَّةَ، ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: ١] فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة».

وأما القطب الثاني من الإثني عشرة فهو على قدم الخليل إبراهيم عليه السلام وهو الذي له سورة الإخلاص الذي حبّه إياها أدخله الجنة ولقارئها ثلث القرآن وله من المنازل بعدد آيها وهو صاحب الحجة والدليل النظريّ يكون له خوض في المعقولات فيصيب ولا يخطيء، وذلك أنّ الناس قد اختلفوا في العلم الموهوب الذي من شأنه أن يدركه العاقل بفكره ويوصله إليه دليل النظر، فقال بعضهم مثل هذا العلم إذا وهبه الله من وهبه وهبه بدليله فيعلم الدليل والمدلول لا بدّ من ذلك. ورأيت أبا عبد الله الكتاني بمدينة فاس إماماً من أئمة المسلمين في أصول الدين والفقه يقول بهذا القول فقلت له: هذا ذوقك هكذا أعطاكه الحق فذوقك صحيح وحكمك غير صحيح بل قد يعطيه العلم الذي لا يحصل إلاّ بالدليل النظري ولا يعطيه دليله وقد يعطيه إياه ويعطيه دليله كإبراهيم الخليل، قال تعالىٰ: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ [الأنعام: ٨٣] وهو أكمل من الذي يعطي العلم الذي يوصل إليه بالدليل ولا يعطي الدليل ولا يشترط أحد تخصيص دليل من دليل إنما يعطي دليلاً في الجملة، فإن الأدلة على الشيء الواحد قد تكثر، ومنها ما يكون في غاية الوضوح، ومنها ما يغمض كمسألة إبراهيم الخليل في إحياء الموتى وإماتة الأحياء، وعدوله إلى إتيان الشمس من المشرق أن يأتي بها الخصم من المغرب وكلاهما دليل على المقصود، وهذا القطب من الدعاة إلى الله بالأمر الإلهيّ، ومسكنه في الهواء في فضاء الجوّ في بيت جالس على كرسي له نظر إلى الخلق لا يزال تالياً عنده جماعة من أهل الله وخاصته كلامه في الأحدية الإلهية وفي أحدية الواحد وفي أحدية الوحدانية بالأدلة النظرية وما حصلها عن نظر، ولكن هكذا وهبها الحق تعالىٰ له وحاله الحضور دائماً إلاّ أنه لم يحر مثل ما حار غيره، بل أبان الله له ما وقف عنده ولم يشغل خاطره بما يوجب عنده الحيرة قد تفرغ مع الله لقضاء حوائج الناس يعرف الأسماء الإلهية معرفة تامة يقول بنفي المثلية في جانب الحق أخبرني الحق بالطريقة التي جرت العادة أن يخبر بها عباده في أسرارهم أن هذا العبد أعطاه الرحمة لعباده والصلة لرحمه فسأله في أمر فلم يجبه الله إليه هو أنه سأله أن يرث مقامه عقبه فقال له: ليس ذلك إليك لا يكون مقام الخلافة بالورث ذلك في العلوم والأموال.

وأما الخلافة فكل خليفة في قوم بحسب زمانهم فإن الناس في زمانهم أشبه منهم بآبائهم، فإن الحق لا يحكم عليه خلق إلاّ في العلم، والخلق لا يعرف أن له هذه المرتبة إلاّ من أعلمه الله بذلك، ولقد رأيت من فتح الله عليه بصحبتي واستفاد أحوالاً وعلوماً وخرق عوائد أعطاه الله ذلك من حسن معاملته مع الله وأخبرني أنه ما استفاد شيئاً ممّا هو عليه إلاّ مني وأنا لا علم لي بذلك إنما أدعو إلى الله والله يعلم من يجيب ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩] وصدقوا، وكذا هو الأمر، فلا علم لأحد إلاّ من يعلمه الله، وما عدا هذه الطريقة الإلهية في التعليم فإنما هو غلبة ظنّ أو مصادفة علم أو جزم على وهم وأما علم فلا، فإن جميع الطرق الموصلة إلى العلم فيها شبه لا تثق النفس الطاهرة التي أوقفها الله على هذه الشبه أن تقطع بحصول علم منها إلاّ بالطريقة الإلهية وهي قوله تعالىٰ: ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩] وقوله: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ ﴾ [الرحمن: ٣ و ٤] فهو يبين عمّا في نفسه ولهذا القطب أسرار عجيبة.

وأما القطب الثالث وهو على قدم موسىٰ عليه السلام فسورته: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ ﴾ [النصر: ١] ومنازله بعدد آيها ولها ربع القرآن، وهذا القطب كان من الأوتاد ثم نقل إلى القطبية كما كان القطب الثاني من الأئمة ثم نقل إلى القطبية وهو صاحب جهد ومكابدة لا ينفك عن الاشتغال بالخلق عند الله، أعطاه الله في منزل النداء اثنى عشر ألف علم ذوقاً في ليلة واحدة، ومنزل النداء من أعظم المنازل وقد عيناه في منزل المنازل من هذا الكتاب ولنا فيه جزء مفرد أعني في طبقات المنازل وكمياتها.
فمن علوم هذا القطب علم الإفتقار إلى الله بالله وهو علم شريف ما رأيت له ذائقاً لما ذقته، ومعنى هذا وسرّه أن الله أطلعه على أن حاجة الأسماء إلى التأثير في أعيان الممكنات أعظم من حاجة الممكنات إلى ظهور الأثر فيها وذلك أن الأسماء لها في ظهور آثارها السلطان والعزّة، والممكنات قد يحصل فيها أثر تتضرر به وقد تنتفع به وهي على خطر، فبقاؤها على حالة العدم أحب إليها لو

خيّرت فإنها في مشاهدة ثبوتية حالية ملتذة بالتذاذ ثبوتي منعزلة كل حالة عن الحالة الأخرى لا تجمع الأحوال عين واحدة في حال الثبوت فإنها تظهر في شيئية الوجود في عين واحدة فزيد مثلاً الصحيح في وقت هو بعينه العليل في وقت آخر، والمعافى في وقت هو المبتلى في وقته ذلك بعينه، وفي الثبوت ليس كذلك فإن الألم في الثبوت ما هو في عين المتألم وإنما هو في عينه فهو ملتذ بثبوته كما هو ملتذ بوجوده في المتألم والمحل متألم به، وسبب ذلك أن الثبوت بسيط مفرد غير قائم شيء بشيء وفي الوجود ليس إلاّ التركيب فحامل ومحمول، فالمحمول أبداً منزلته في الوجود مثل منزلته في الثبوت في نعيم دائم، والحامل ليس كذلك فإنه إن كان المحمول يوجب لذة إلتذّ الحامل وإن أوجب ألماً تألم الحامل ولم يكن له ذلك في حال الثبوت بل العين الحاملة في ثبوتها تظهر فيما تكون عليه في وجودها إلى ما لا يتناهى، فكل حال تكون عليها هو إلى جانبها ناظر إليها لا محمول فيها، فالعين ملتذة بذاتها والحال ملتذ بذاته، فحال الأحوال لا يتغير ذوقه بالوجود، وحال الحامل يتغير بالوجود وهو علم عزيز، وما تعلم الأعيان ذلك في الثبوت إلاّ بنظر الحال إليها ولكن لا تعلم أنه إذا حملته تتألم به لأنها في حضرة لا تعرف فيها طعم الآلام بل تتخذه صاحباً، فلو علمت العين أنها تتألم بذلك الحال إذا اتصف به لتألمت في حال ثبوتها بنظره إياها لعلمها أنها تتلبس به وتحمله في حال وجودها فتألفها به في الثبوت تنعم لها، وهذا الفن من أكبر أسرار علم الله في الأشياء شاهدته ذوقاً إلهياً لأن من عباد الله من يطلعه الله كشفاً على الأعيان الثبوتية فيراها على صورة ما ذكرناها من المجاورة والنظر ما يرى فيها حالاً ولا محلاً:

بل كل ذات على انفراد ... من غير شوب ولا اتحاد

ولا حلول ولا انتقال ... ولا اتفاق ولا عناد

فإذا فهمت الفرق بين الوجود والثبوت وما للأعيان في الوجود وما لها في الثبوت من الأحكام علمت أن بعض الأعيان لا ريد ظهور الأثر فيها بالحال ما لها في ذلك ذوق فهي بالحال لو عرض عليها ذوق الألم في حال الثبوت لضجت، فإن أمرها في حال الوجود إذا حملت الألم قد تحمل الصبر وقد لا تحمله، وفرضناها في حال الثبوت حاملة فاقدة للصبر فما لها بلسان الحال لك الإفتقار إلى طلب الوجود وإن طلبته بالقول الثبوتي من الله، فإذا وجدت تقول كما قد نقل عن بعضهم ليتني لم أخلق، ليت مر لم تلده أمه، ليتها كانت عاقراً، وأمثال هذا، فتكون الأعيان أقل افتقاراً من الأسماء، والأسماء أشد افتقاراً لما لها في ذلك من لنعيم ولا سيما وهي تشاهد من الحق الابتهاج الذاتي بالكمال من حيث استصحاب الممكنات في ثبوتها لذاته وأنه منزّه عن أثرها التأثر بسببها، فهو من حيث ذاته في كمال عن التأثر في حال ثبوت الأعيان وحال وجودها لأنه ما زاد في نفسه علماً بما لم تكن ليه فيها فإنها أعطته العلم بشأنها أزلاً وبتلك الصورة توجد، فالمجاورة في الثبوت حلول في الوجود ففي الثبوت إلى جانبها وفي وجود حال فيها، فهذا علم واحد من تلك العلوم فاعلم ذلك.

وأما القطب الرابع الذي على قدم عيسى عليه السلام فسورته من القرآن: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] ولها بع القرآن، ومنازله بعدد آيها، وهذا القطب من الضنائن المصانين له التجلي الدائم كلامه في الجمع والوجود وعلم المزيد، إذا أى شبهة في أحد تحول بينه وبين العلم أزالها حتى يتبين لصاحبها صورة الحق في ذلك الأمر، له ستمائة مفتاح مقام في كل مقام ن العلوم ما شاء الله، له علم الإمتزاج والتركيب الاعتدالي لا يعرف الانحراف ولا النقص ولا الزيادة، مسكنه بقية أرين منقطع عن خلق إلاّ من شاء الله عاش طيباً مع الله إلى أن توفاه الله، وكان من الأوتاد أيضاً فانتقل إلى القطبية يقول: إن الوجود وجود الحق، أن الجمع جمع الحق صفات القدم والحدوث وهو علم غريب في الجمع ما رأيت من يقول به من أهل الله غير هذا القطب، فإني اهدت هؤلاء الأقطاب أشهدنيهم الحق وإن كانوا قد درجوا من الدنيا وهو العلم الذي وردت به الشرائع في جانب الحق فنقول لك هو الجمع، وعنده أن المحدث صاحب دعوى في تلك الصفات المسماة محدثة، ولأجل دعواه قلنا إنه جمع، وإلاّ فالأمر حد كلها صفات قدم في القديم ومحدثة في المحدث لظهورها فيه ولم تكن ظاهرة فحدثت عند المتصف بها كما قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] وليس إلاّ كلام الله القديم فجمعنا عليه ماله مع نسبته إلينا فسمّي من فعل ذلك صاحب مع ووجود فمحكوم حكم الممكنات وجود الحق لا غيره فمن فهم الجمع هكذا علم الأمور كيف هي[1]:

---

(١) في الأصل (هيه).

مـــن درى الجمـــع هكـــذا	علـــم الأمـــر كيـــف هـــو
فهـــو الحـــق لا ســـوا	فـــــلا تسمعنـــــه

وأما القطب الخامس الذي على قدم داود عليه السلام فسورته من القرآن: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١] ولها نصف القر ومنازله بعدد آيها وحاله التفرقة وله مقام المحبة فهو معلول للحب فداؤه دواؤه وماله علم يتقدم فيه على غيره إلاّ علم ثبوت المح الإلهية والكونية، ولهذا كان في مقام التفرقة وكان من الأئمة فنقل إلى القطبية، يقول هذا القطب: إن الحب ما ثبت وكل حب يزو فليس بحب أو يتغير فليس بحب لأن سلطان الحب أعظم من أن يزيله شيء، حتى أن الغفلة التي هي أعظم سلطان تحكم عا الإنسان لا يتمكن لها أن تزيل الحب من المحب يتمكن عنده أن يغفل الإنسان عن نفسه بمحبوبه ولا يتمكن للمحب أن يغفل بأ- عن محبوبه فذلك هو المحب وذلك هو الحب:

فـــداء المحبـــة مـــا لا يـــزول	وأن الشفـــاء لـــه مستحيـــل
فـــلا تـــركنـــن إلـــى غيـــر ذا	ولا تصغيـــن إلـــى مـــا يقـــول

فبحب الله أحببنا الله وحب الحق لا يتغير، فحب الكون لا يتغير، فقيل له: فحب الكون الكون هل يتغير؟ قال: لا لا الكون محبوب لذاته، والمحبة الذاتية لا يمكن زوالها، قيل له: فقد رأينا من تستحيل مودته، فقال: تلك إرادة ما هي محبة إذ كانت محبة ثبتت ألا تراها تسمّى وداً لثبوتها وثبوت حكمها؟ وذلك أنه ما في المحب لغير محبوبه فضلة من ذاته يتمكن للمزيل يدخل عليه منها هذا سبب ثبوتها، فإنه يشاهد عين محبوبه في كل شيء يشهده فلا يفقده، فلو صحّ للمحب أن يشهد غير محبوبه عين ما لدخل عليه من ذلك ما يزيل حبه وهذا ليس بواقع في الحب، فالتبس على من هذه حالته حكم الإرادة بحكم الحب وما مريد محب وكل محب مريد، وما كل مراد محبوب وكل محبوب مراد، فمقام هذا القطب ما ذكرناه وشأنه عجيب وتفصيل - يطول ومذهبنا الاختصار.

وأما القطب السادس الذي على قدم سليمان عليه السلام فسورته الواقعة ولها الحياة الدائمة، ومنازله بعدد آيها، اخت بعلم الحياة والحيوان لا يأخذ حالاً من أحواله إلاّ عن ربه، فأحواله أحوال ربه هديه هدي الأنبياء كما أمر الله نبيه ﷺ لما ذكر الأنبياء عليهم السلام قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] وما قال فبهم اقتده، فعلمنا أن محمداً م لجميع من ذكره من الأنبياء ومن لم يذكره فإنه لكل نبي هدى كما ذكر: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨] فهو سب نصب الشرائع وأوضح المناهج وجمع ذلك كله في محمد ﷺ، فمن رآه فقد رأى جميع المقربين، ومن اهتدى بهديه فقد اه بهدي جميع النبيين:

ومـــا علـــى الله بمستنكـــر	أن يجمـــع العـــالـــم فـــي واحـــد

وأعني بقولي إن أحوال هذا القطب أحوال ربه ما قال الحق عن نفسه من أنه كل يوم في شأن فهذا عبارة عن اختا الأحوال، فهو من القوم الذين يشاهدون الحق في شؤونه فينظرون إلى ماله من الشؤون فيهم فيتلبسون بها منه فهم من أحوالهم بصيرة، فمن هذه حاله ما هو مثل من حاله التخلق بالأسماء الإلهية بل لهذا ذوق ولهذا ذوق، فمثل هذا الرجل يكون مجهول ال لأن مواطن الحق خفية لا يدركها إلاّ من كان مقامه التلبس بالشؤون، والدليل على ذلك أنا قد جمعنا على أنه لا موجد إلاّ الله حكيم يضع الأمور مواضعها ولا يتعدى بها موطنها، فكل شيء ظهر في العالم فهو حكمة في موضعه، وقد جمعنا أن جميع ال وأن أهل الله أكثرهم يقولون: لو كان كذا عن فعل من الأفعال ظهر في الوجود على يد إنسان لكان أحسن من هذا الفعل الذي ف وأولى، يقولون للذي يظهر ذلك الفعل الإلهي فيه وعلى يديه فهل هذا إلاّ لجهلهم بحكمة الله فيما وقع لهم فيه مثل هذا القول؟ ما وقع من أهل الله إلاّ بغفلتهم عن الله لا بجهلهم، فإذا ذكروا تذكروا ويقع من غير أهل الله بجهله لا بغفلته، فإنه لا يزول عمّا ذ إليه في ذلك الفعل من اللوم حتى تبدو له حكمة الله فيه متى بدت حينئذٍ يعترف بجهله ويعرف قصور علمه وعقله، وما رأيت من أهل هذا الذوق ولا سمعت بأنه رؤي وهو قريب في غاية الظهور، ولكن الأغراض تمنع والأهواء من التمثل في تحص وذلك أن حجة من لا يروم تحصيله من أهل الدين يقول: إن الشرع قد أمرنا أن ننكر أشياء وأن نقول الأولى ترك هذا من فعا

علمي بأن الفعل لله، قلنا: صدقت ولكن ما خرج مثل هذا الاعتراض من شخص فهم رتبتي وذلك أني قلت إنه جهل حكمة الله فيما اعترض فيه، فمن اعترض باعتراض الشرع فهو ناقل اعتراض الله فيما اعترض ما هو المعترض، وذلك الاعتراض إذا وجد من الله يعلم صاحب هذا الذوق حكمته ومنزلته، وصاحب هذا الحال يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقيم الحدود وهو يشاهد حكمة ذلك كله ويراها في الشؤون الإلهية المشهودة له ولا يشهدها إلاَّ عند تكوينها خاصة، هذا هو مقام صاحب هذا الحال، فإن من أهل الله أيضاً من يشاهد هذه الشؤون قبل أن يكون الحق فيها، وهو الذي يشاهد أعيان الممكنات في حال عدمها كما يشهدها الحق، ولهذا يعين الحق منها ما يعين بالتكوين دون غيرها من الممكنات، فإن الحق لا يوجدها إلاَّ بما هي عليه في حال عدمها من غير زيادة ولا نقصان، ومن أهل الله من يشهد الأمر قبل ظهوره في الحسّ وهو التكوين الآخر يشهده في الإمام المبين وهو اللوح المحفوظ الحاوي على المحو والإثبات فكل شيء فيه، فلذلك الشيء تكوين أول في التسطير، وهذا الكشف دون كشف الذي يريه الله أعيان الممكنات على ما تكون عليه في حال الوجود فيحكم بها حكم الله فيها، ولإدراك هذه الشؤون قبل ظهورها في الحسّ مدارك كثيرة أعلاها ما ذكرناه أي أقصاها وبعده مشاهدة الحق في تكوينها، فإن ذلك أعلى من مشاهدة المشاهد إياها في الإمام المبين وفي غيره، ودون هذا الشهود كل شهود يكون للعبد قبل تكوين الشأن، هذا حال من قال: ما رأيت شيئاً إلاَّ رأيت الله معه، وهو أعلى حالاً من الذي يقول: ما رأيت شيئاً إلاَّ رأيت الله قبله، فإن الأولى كلمة تحقيق وإن كانت الأخرى مثلها في التحقيق لكن بينهما فرقان، فالواحد قوله مثل من يقول: رأيت زيداً يصنع كذا، ويقول الآخر: رأيت الصانع يصنع كذا، فهذا الفرق بين الشخصين فيما يشهد أنه، فإن الأسماء الأعلام ما وضعت إلاَّ للتخاطب بها في حال غيبة المسمّى بها وفي الحضور ما هي مطلوبة وإن جيء بها فإما لأدب يقتضيه الحال، وإما تأكيد في الأخبار فقد أبنت لك من حال هذا القطب ما سمعت وله أحوال كثيرة أعرفها أفعله في كل قطب ما أذكر جميع أحواله لأن ذلك يتسع الخرق فيه حيث أنه لا يفي به الوقت.

وأما القطب السابع الذي على قدم أيوب عليه السلام وسورته البقرة وهي البيضاء الحاوية على سيدة آي القرآن، ومنازله بعدد حروفها لا آيها، حال هذا القطب العظمة بحيث أنه يرى أن العالم لا يسعه لأن ذوقه كونه وسع الحق قلبه، وقد ورد في الخبر أن الحق يقول: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي، وما كل قلب يسع الحق، وقال: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] فبين مكان القلوب، فإذا كان مشهود العبد كون الحق في قلبه فكما لا يسع العالم الحق لا يسع العالم أيضاً هذا العبد، فهذا سبب شهود ضيق العالم عنه، وما رأيت من تحقق بهذا المقام وشهوده إلاَّ رجلاً بالموصل من أهل حديثة الموصل كان بهذه المثابة وأطلعه الحق على أمر ولم يطلعه على سره فيه، وكان يطلب على من يوضح له حاله فذكرني له الإمام نجم الدين محمد بن أبي بكر بن شاي الموصلي المدرس بمدرسة سيف الدين بن علم الدين بحلب في هذا الزمان الذي نحن فيه وهو سنة ثمان وعشرين وستمائة فطلب الاجتماع بنا، فلما وصل ذكر نازلته فأوضحتها له فسري عنه واستبشر وخرج لي بحاله لما رآني فهمته فوجدته[1] قد أخذ من مقام العظمة بحظ وافر لكنه دون ذوق هذا القطب فيه لأنه أخبرني أن النخامة كانت تدور في فيه لا يقدر أن يلقيها من فيه لأنه لا يجد لها محلاً تقع فيه خالياً من الحق، وقد علم ما جاء في الأدب في إلقائها في الشرع فكان يتحير، ورأيت آخر مثله بإشبيلية من بلاد الأندلس، وروينا عن الحلاج أنه ذاق من هذا المقام حتى ظهر عليه منه حال المقام فكان له بيت يسمّى بيت العظمة إذا دخل فيه ملأه كله بذاته في عين الناظر حتى نسب إلى علم السيميا في ذلك لجهلهم بما هم عليه أهل الله من الأحوال، والمتمكن في هذا المقام لا يظهر عليه بالحال ما يدل على أنه صاحب هذا الذوق ولكن نعوته تجري بحكم هذا المقام لا حاله، فإن الحال يعطي خرق العوائد كما قال صاحب محاسن المجالس فيها لما ذكر الأحوال أنها للمريدين قال: والأحوال للكرامات يريد خرق العوائد، وليست الكرامات في عرف هذا اللسان إلا خرق العوائد مع الاستقامة في الحال أو تنتج الاستقامة في الفور لا بدّ من ذلك عندهم، وسبب هذا التحديد أن خرق العادة قد لا يكون كرامة من الله للعبد، فأكملهم في مقام العظمة من يجهل حاله ولا يعرف فيعرف ما يعامل به ويحار الناظر فيه إلاَّ أنه على بينة من ربه وبصيرة من أمره، فمن أراد أن يعرف أحوال هذا الإمام فليتدبر آيات سورة البقرة آية بعد آية حتى يختمها، فهذا القطب مجموع آيها وبالله التوفيق.

---

(١) في المطبوعة (فوجته).

وأما القطب الثامن الذي على قدم إلياس عليه السلام وسورته آل عمران وهي البيضاء أيضاً، ومنازله بعدد آيها، ولست أعني بقولي القطب الأول والثاني أن هذا الترتيب بالزمان إنما أريد به ترتيب العدد إلى أن يكمل اثنا عشر قطباً فقد يكون الثاني عشر أو غيره هو الأول بالزمان، إنما أعلمت بذلك لئلا يتوهم من قد أوقفه الله وأطلعه على العلم بأزمان هؤلاء الأقطاب فيرى هذا الترتيب الذي سقناه فيهم أنه ترتيب أزمانهم فلذلك بينت أنه ترتيب العدد لا غير، وحال هذا القطب العلم بالمتشابه من كلام الله الذي لا يعلم تأويله إلاّ الله، فيعلمه هذا القطب بإعلام الله خاصة ولا يعلم أبداً إلاّ بإعلام الله فيكون عنده محكماً في تشابهه فيعرف من أيّ وجه كان التشابه فيه فيحصل له علم المناسبة التي جمعت بين الله وبين من وقع معه التشابه في الآية كآيات التشبيه كلها، أو ترقع التشبيه من طريق دلالة اللفظ المشترك الذي لا يكون إلاّ لمناسبة خفية، فإن المناسبة في التشبيه جلية وفي الاشتراك خفية كالنور للعلم جلي، فتسمّى العلم نوراً والنور نوراً كقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وجعلناه يعني الوحي وهو العلم ﴿ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢] وفي الاشتراك كالعين، فالمناسبة في العينية في كل مسمّى بالعين خفية فهي عند هذا القطب جلية بإعلام الله.

وأما أصحاب التأويل بالنظر في ذلك فما هم على علم وإن صادفوا العلم، ومن هذا العلم تعلم أنّ النساء شقائق الرجال، ألا ترى حوّاء خلقت من آدم؟ فلها حكمان: حكم الذكورة بالأصل وحكم الأنوثة بالعارض فهي من المتشابه، فإن الإنسانية مجمع الذكر والأنثى، وأين حقيقة الفاعل من المنفعل لمن هو فيه فاعل ولا يفعل إلاّ في مشاكله، وذلك أنه أول ما أحدث الانفعال في نفسه فظهر فيه صورة ما ينفعل عنه، وبتلك القوّة انفعل عنه ما انفعل وظهر كالبديع والمخترع والحق قد قدمنا تحقيق العلم بالعالم أن العلم يتبع المعلوم والعلم صفة العالم والمعطي العلم ما هو المعلوم عليه، ثم يعطي العالم إيجاد المعلوم كما يعطي المخترع إيجاد الأمر المخترع وإظهاره في الوجود، فمن هنا يعرف لما حبّب الله النساء لمحمد ﷺ، فمن أحب النساء حب النبيّ ﷺ لهنّ فقد أحب الله، والجامع الانفعال لما كان من إعطاء المعلوم العلم ليقال فيه أنه عالم فهو أول منفعل لمعلوم، وظهر في عيسىٰ انفعاله عن مريم في مقابلة حوّاء من آدم: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [ق: ٣٧] فيفهم قول الله عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ ﴾ [الحجرات: ١٣] بمثل حوّاء ﴿وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣] مثل عيسىٰ، وبالمجموع مثل بني آدم باقي الذرية، فهي الجامعة لخلق الناس، ولقد كنت من أكره خلق الله تعالىٰ في النساء وفي الجماع في أول دخولي إلى هذا الطريق وبقيت على ذلك نحواً من ثمان عشرة سنة إلى أن شهدت هذا المقام وكان قد تقدم عندي خوف المقت لذلك لما وقفت على الخبر النبوي أن الله حبّب النساء لنبيه ﷺ فما أحبهن طبعاً ولكنه أحبهن بتحبيب الله إليه، فلما صدقت مع الله في التوجه إليه تعالىٰ في ذلك من خوفي مقت الله حيث أكره ما حببه الله لنبيه أزال عني ذلك بحمد الله وحببهن إليّ، فأنا أعظم الخلق شفقة عليهن وأرعى لحقّهنّ[1]، لأني في ذلك على بصيرة وهو عن تحبّب لا عن حب طبيعي، وما يعلم قدر النساء إلاّ من علم وفهم عن الله ما قاله في حق زوجتي رسول الله ﷺ عندما تعاونا عليه وخرجا عليه كما ذكر الله في سورة التحريم وجعل في مقابلة هاتين المرأتين في التعاون عليه، من يعاون رسول الله ﷺ عليهما وينصره وهو الله وجبريل وصالحوا المؤمنين ثم الملائكة بعد ذلك، وليس ذلك إلاّ لاختلاف السبب الذي لأجله يقع التعاون، فثم أمر لا يمكن إزالته إلاّ بالله لا بمخلوق، ولذلك أمرنا أن نستعين بالله في أشياء وبالصبر في أشياء وبالصلاة في أشياء فاعلم ذلك، وكان ثم أمر وإن كان بيد الله، فإنّ الله قد أعطى جبريل اقتداراً على دفع ذلك الأمر، فأعان محمداً ﷺ في دفعه أن تعاونا عليه وإن رجعا عنه وأعطيا الحق من نفوسهما سكت عنهما كما سكتنا، فكان لهما الأمر من قبل ومن بعد، وهو نعت إلهيّ فإنه لحركتهما تحرك من تحرك ولسكونهما سكن الذي أراد التحرك، وكذلك صالحوا المؤمنين كان عندهم أمر نسبته في الإزالة بصالحي المؤمنين أقرب من نسبته إلى غيرهم، فيكون صالح المؤمنين معيناً لمحمد ﷺ ثم الملائكة بعد ذلك إذا لم يبق إلاّ ما يناسب عموم الملائكة التي خلقت مسخرة يدفع بها ما لا يندفع في الترتيب الإلهيّ إلاّ بالملائكة مع انفراد الحق بالأمر كله في ذلك والقيام به ولكن الجواز العقلي فأخبر الحق بالواقع لو وقع كيف كان يقع فما يقع إلاّ كما قاله، وما قال إلاّ ما علم أنه يقع بهذه الصورة، وما علم إلاّ ما أعطاه المعلوم من نفسه أنه عليه بما شهده أزلاً في عينه الثابتة في حال عدمه، فانظر يا ولي

(١) في المطبوعة (لحقن).

كيف تبدي الأمور حقائقها الذي فهم وقلب، جعلنا الله وإياكم من أهل الفهم عن الله ممّن له قلب يعقل به عن الله وألقى السـ لخطاب الله وهو شهيد لما يحدثه الله في كونه من الشأن.

وأما القطب التاسع الذي على قدم لوط عليه السلام فسورته سورة الكهف ولها العصمة والإعتصام، ومنازله بعدد آيها حـ العصمة.من كل ما يؤدي إلى سوء الأدب الذي يبعد صاحبه عن البساط فهو محفوظ عليه وقته أبداً، وعلمه علم الاعتصام، و عيّنه الله وحصره في أمرين الاعتصام به فقال عزّ من قائل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الحج: ٧٨] والاعتصام الآخر بحبله وهو قو تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] فمن الناس من اعتصم بالله، ومنهم من اعتصم بحبل الله، وقال: الاعتصام بحبل الله هو عين الاعتصام بالله، وهذا القطب جمع بين هذين الاعتصامين، والفرق بين الاعتصامين أن حبل الله الطريق الذي يعرج بك إليه مثل قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وليس حبله سوى ما شر وتفاضل فهم الناس فيه فمنهم ومنهم ولذلك فضل الله بعضهم على بعض، فمن لم يخط طريقه فهو المعصوم والتمسك به الاعتصام، وعليه حال المؤمنين الذين بلغوا الكمال في الإيمان، ومثل هؤلاء يعتصمون بالله في اعتصامهم بحبل الله وهو قو ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقوله: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وأما الاعتصام بالله فهو قوله ﷺ فوله الاستعاذة: «وأعوذ بك منك» فإنه لا يقاومه شيء من خلقه فلا يستعاذ به إلاّ منه، فإن الإنسان لما حصل في سمعه أنه مخلوق ء صورة الحق ولم يفرق بين الإنسان الكامل وبين الإنسان الحيوان وتخيّل أن الإنسان لكونه إنساناً هو على الصورة وما هو كما و ولكنه بما هو إنسان هو قابل للصورة إذا أعطيها لم يمتنع من قبولها فإذا أعطيها عند ذلك يكون على الصورة ويعد في جملة الخـ فلا يتصرف من هو على الصورة إلاّ تصرف الحق بها، وتصرف الحق عين ما هو العالم عليه وفيه، وأنت تعلم بكل وجه ما العالـ من مكلف وغير مكلف، وممّا ينكر ويعرف ولا يعرف ما ينكر وما يعرف من العالم المكلف إلاّ الخليفة وهو صاحب الصو فالحق له حكم الإنكار لا للعبد، فالمعتصم بالله إذا كان صاحب الصورة لا يعتصم إلاّ منه بأن يظهر به في هوطن ينكره عليه، كانت صفته فليس له أن يتلبس بها في كل موطن ولا يظهر به في كل مشهد بل له الستر فيها والتحلي بها بحسب ما يحكم به الو وهذا هو المعبر عنه بالأدب، ولو كان مشهده أنه لا يرى إلاّ الله بالله وأنّ العالم عين وجود الحق، وأعظم من هذا الصارف الإنكار فلا يكون ولكن لا بدّ من الإنكار إن صحّ له هذا المقام فهو ينكر بحق على حق لحق ولا يبالي وحجته قائمة.

وأما القطب العاشر الذي على قلب هود عليه السلام فسورته سورة الأنعام ولها الكمال والتمام في الطوالات، ومنازله آيها، ولهذا القطب علوم جمة منها علم الاستحقاق الذي يستحقه كل مخلوق في خلقه، وعلم ما يستحقه ذلك الخلق من المرا فأما استحقاق الخلق فقوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [طه: ٥٠] وأما المراتب فالتنبيه عليها من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِ [الأنعام: ٩١] و ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] وهو أن تزيده على مرتبته أو تنقصه منها، وما يتميز ا العاقل من غيره إلاّ بإعطاء كل ذي حق حقه وإعطاء كل شيء خلقه، ومتى لم يعلم ذلك فهو جاهل بالحق، ومتى علم ولم ؛ بعلمه فهو غير عاقل، فلا بدّ لصاحب هذا المقام أن يكون تام العقل كامل العلم، وهذا هو الحفظ الإلهيّ والعناية العظمى والـ على هذه الطريقة المثلى التي هي الطريقة الزلفى هو السلوك الأقوم.

ولما أتمّ الله خلق العالم روحاً وصورة وأنزل كل خلق في رتبته جعل بين العالم التحاماً روحانياً وجسمانياً لظهور أشـ كل نوع من العالم، إذ كان دخول أشخاص كل نوع في الوجود مستحيلاً، وإنما فعل ذلك ليظهر فضل الفاعل على المنفعل با فيعلمون فضل الحق على عباده ويعرفون كيف يتحققون معه في عبودتهم ونسب إليهم الخلق فقال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّ [المائدة: ١١٠] وقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فذكر أن ثم خالقين الله أحسنهم خلقاً فإنه تعالى يخـ يخلق عن شهود، والخالق من العباد لا يخلق إلاّ عن تصوّر يتصوّر من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها، الحق ليس كذلك فإنه يبدع أو يخلق المخلوق على ما هو ذلك المخلوق عليه في نفسه وعينه فما يكسوه إلاّ حلة الوجود يسمّى الإيجاد، فمن أوقفه الله كشفاً على أعيان ما شاء من الممكنات فليس في قوّته إيجادها أي ليس بيده خلعة الوجود التي تلك العين الثابتة الممكنة أعني بالمباشرة ولكن له الهمة وهي إرادة وجودها لا إرادة إيجادها منه لأنه يعلم أن ذلك محال في فإذا علق همته بوجودها يتعلق الحق القول بالتكوين فتعلم قول ربها من قول الخلق، سواء كان القول على لسان الخلق أو ؟

الحق بارتفاع الوسائط، فيتكوّن ذلك الشيء ولا بدّ، فيقال في الشاهد فعل فلان بهمته كذا وكذا، وإن تكلم يقال: قال فلان كذا وكذا فانفعل عن قوله كذا، فمن عرف ذلك عرف ما للعبد في ذلك التكوين وما للحق فيه فلذلك قال: إنه ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فإذا ظهر عين ذلك المكوّن أيّ شيء كان تشوّفت إليه مرتبته لأن مزاجه يطلبها وأعني المرتبة الأولى، فيكتسب الاستعداد لأمور علية أو دنية بحسب ما يعطيه ذلك الاستعداد المكتسب فيظهر في العالم بصورة ذلك، فإذا نظر فيه الأجنبيّ وأعني بالأجنبيّ الذي لا علم له بالحقائق ونظر إلى استعداده فأعطاه نظره أنه نازل عن رتبته أو رتبته فوق ذلك أعني الرتبة التي ظهر فيها والأمر في نفسه ليس كما ظهر لصاحب هذا النظر، فإن الاستعداد المؤثر إنما هو في الخلق وهو استعداد ذاتي، وأما الاستعداد المرضي فلا حكم له، بل الاستعداد العرضي رتبة أظهرها الاستعداد الذاتيّ وغاب هذا القدر من العلم عن أكثر الخلق، مثال ذلك: أن يروا شخصاً ساكتاً قد تصوّر العلوم وأحكمها أعطى من المراتب أخسّها ممّن لا ينبغي لمن جمع هذه الفضائل والعلوم أن يكون غايته تلك الرتبة فيقال إنه قد حطّ هذا الرجل عن رتبته وما أنصف في حقّه وما عندهم خبر بأن رتبته إنما هي عين تلك الفضائل التي جمعها وتلك العلوم التي أحكمها، ومن جملتها هذه المرتبة الخسيسة التي ولاّه السلطان عليها إن كان من الولاة وإن لم يكن من الولاة ولا نال شيئاً مع هذا الفضل من المناصب قيل فيه إنه محروم وما هو محروم، وإنما الموطن اقتضى ذلك وهو أن الدنيا اقتضت أن يعامل فيها الجليل بالجلال في وقت، وفي وقت يعامل الجليل بالصغار، وفي وقت يعامل الصغير بالصغار، وفي وقت يعامل الصغير بالجلال، بخلاف موطن الآخرة فإن العظيم بها يعامل بالعظمة والحقير بها يعامل بالحقارة، ولو نظر الناظر لرأى في الدنيا من يقول في الله ما لا يليق به تعالىٰ، ومن يقول فيه ما يليق به من التنزيه والثناء وأعظم من الحق فلا يكون هذا العبد، فمن علم المواطن علم الأمور كيف تجري في العالم وإلى الله يرجع الأمر كله ما صحّ منه وما اعتلّ، فلا تنظر إلى المناصب، وانظر إلى الناصب الذي يعمل بحكم المواطن لا بما يقتضيه النظر العقلي، فإن الناظر إذا كان عاقلاً علم بعقله أن موطن الدنيا كذا يعطى ويترك عنه الجواز العقليّ الذي يمكن في كل فرد فرد من أفراد العالم، فإن هذا الجواز في عين الشهود ليس بعلم ولا صحيح، وليكن العاقل مع الواقع في الحال، فإن ذلك صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه لا تعلق لعاقل بالمستقبل إلاّ إن أطلعه الله كشفاً على أعيان الممكنات قبل وقوعها في الوجود، فلا فرق بينه وبين من شهدها في وقوعها، لأن هذا المكاشف يزول عنه حكم الجواز العقليّ فيما كوشف به وأطلعه الله عليه فهذا بعض علم هذا القطب.

وأما القطب الحادي عشر الذي على قدم صالح عليه السلام فسورته من القرآن سورة ﴿طه ۝﴾ [طه: ١] ولها الشرف التام، ومنازله بعدد آيها. اعلم أن هذا القطب دون سائر الأقطاب أشرف بهذه السورة من سائر الأقطاب لأن هذه السورة أشرف سورة في القرآن في العالم السعيد، فإنها السورة التي يقرؤها الحق تعالىٰ في الجنة على عباده بلا واسطة، وهذا القطب له علوم جمّة له البطش والقوّة كما قال أبو يزيد البسطاميّ وقد سمع قارئاً يقرأ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝﴾ [البروج: ١٢] فقال: بطشي أشد، وكان حاله حال من ينطق بالله، فقول الله عن نفسه إن بطشه شديد على لسان عبده أشد من بطشه بغير لسان عبده، ثم بطشه على لسان عبده الطبيعي أشد من بطشه على لسان عبده الإلهيّ بما لا يتقارب، وأكثر علم هذا الإمام في التنزيه والإحاطة وليس التنزيه والإحاطة التي يعلم هو المفهوم المتعارف بل هو تنزيه التنزيه المتعارف وجعله في ذلك علم الإحاطة، وذلك أن تنزيهه عدم المشاركة في الوجود فهو الوجود ليس غيره والمعبر عنه عنده بالعالم إنما هو الاسم الظاهر وهو وجهه فما بطن منه عن ظاهره فهو الاسم الباطن وهو هويته فيظهر له ويغيب عنه، وأما الآلام واللذات فتقابل الأسماء وتوافقها وبها تكثرت الصور فإنها التي تشكلت فأدرك بعضها بعضاً فكان محيطاً بها منزّهاً عنها فله الستر عنها والتجلي فيها فتختلف عليه الصور فينكر حاله مع علمه أنه هو، وهو ما تسمعه من قول الإنسان عن نفسه إني في هذا الزمان أنكر نفسي فإنها تغيرت عليّ وما كنت أعرف نفسي هكذا وهو هو ليس غيره، فمن حيث تشكل الأسماء له الإمكان، ومن حيث العين القابلة لاختلاف الصور الأسمائية عليها له الوجوب، فهو الواجب الممكن والمكان والمتمكن المنعوت بالحدوث والقدم كما نعت كلامه العزيز بالحدوث مع اتصافه بالقدم فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم﴾ [الأنبياء: ٢] الضمير يعود على صور الأسماء إلاّ الرب ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فنعته بالحدوث فهو حادث عند صورة الرحمن ﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ [الشعراء: ٥] الضمير مثل الأوّل إلاّ الرحمن ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ [الشعراء: ٥] فنعته بالحدوث فهو حادث عند صورة الرب، فإن تقدّم إتيان ذكر الرب كان ذكر الرحمن جوابه، وإن تقدّم ذكر الرحمن كان ذكر الرب جوابه،

فالمتقدم أبداً من الذكرين قرآن والثاني فرقان ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] للمتقدم منهما وهو القرآن ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] للآخر منهما وهو الفرقان ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣] كما هو ﴿ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: ٣] ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣] وليس إلا قبول صور الأسماء وكل للإحاطة فانحصر الأمر فيه، فما قال ﴿ كُن ﴾ [النحل: ٤٠] إلا له، ولا كنى بيكون إلا عنه، ألا تراه تسمّى بالدهر وأنه يقلب الليل والنهار، وليس الدهر غير الليل والنهار، وليس التقليب سوى اختلاف الصور، فالأيام والساعات والشهور والأعوام هي عين الدهر، وفي الدهر وقع التفصيل بما ذكرناه، فمن وجه هو ساعة ومن وجه هو يوم وليل ونهار وجمعة وشهر وسنة وفصول ودور:

فكل خير هو له	وكل شرّ ليس له
فهو الوجود كله	وفقده ما هو له
يعلمه من علمه	يجهله من جهله
فإنما أنا به	في كل أحوالي وله
فأنت هو ما أنت هو	وأنت له ما أنت له
ولو صنعت صنعه	ولو عملت عمله

فهذا من بعض أنفاس علم هذا القطب، وهكذا مجراه في علومه كلها على كثرتها وتفاصيلها.

وأما القطب الثاني عشر الذي على قدم شعيب عليه السلام فسورته من القرآن سورة: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١] وهي التي تجادل عن قارئها، ومنازله بعدد آيها، انظر في جدالها في قوله: ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ ﴾ [الملك: ٣] ﴿ كَرَّتَيْنِ ﴾ [الملك: ٤] ينبه على النظر في المقدمتين ﴿ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣] يعني خللاً يكون منه الدخل فيما يقيمه الدليل ﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ ﴾ [الملك: ٤] وهو النظر ﴿ خَاسِئًا ﴾ [الملك: ٤] بعيداً عن النفوذ فيه بدخل أو شبهه ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك: ٤] أي قد عيى أي أدركه العيا وكل آية في هذه السورة فإنها تجري على هذا النسق إلى أن ختم بقوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك: ٣٠] ألا ترى الوجود كله من غير تعليم؟ هل تراه في حال اضطراره يلجأ إلى غير الله يلجأ إلا إلى الله بالذات؟ فلو كان غيراً ما عرفه حتى يلجأ وهو قول العامة فيمن رزىء مالك لما ترجع في رزيتك إلا إلى الصبر والصبر ليس إلا صفة الصابر، فتسمى أيضاً بالصبور، يقول: أنا هو ما ثم غيري، وهذا عين ما ادعاه في علمه القطب الذي على قدم صالح صلّى الله على نبينا محمد وعليه وسلّم:

فيا شعيب ما ثم عيب	لكنه شاهد وغيب
فانظر إلى حكمة وفصل الـ	ـخطاب فيها ما فيه ريب

ولهذا القطب علم البراهين وموازين العلوم ومعرفة الحدود كله روح مجرّد لطيفة حاكم على الطبيعة مؤيد للشريعة، أقرانه ضخم الدسيعة، يطعم ولا يطعم وينعم ولا يتنعم، الغالب عليه التفكّر ليتذكر والدخول في الأمور الواضحة ليتنكر، المجهول الذي لا يعرف، والنكرة التي لا تتعرّف، أكثر تصرّفه فيما يتصرّف فيه من الأسماء الإلهية الاسم المدبر والمفصل والمنشىء والخالق والمصوّر والبارىء والمبدىء والمعيد والحكم والعدل، ولا يرى الحق في شيء من تجليه دون أن يرى الميزان بيده يخفض ويرفع، فما ثم إلا خفض ورفع لأنه ما ثم إلا معنى وحرف وروح وصورة وسماء وأرض ومؤثر ومؤثر فيه، فما ثم إلا شفع وكل واحد من الشفع وتر فما ثم إلا وتر ﴿ وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ [الفجر: ١ ـــ ٣] فالشفع يطلب الوتر والوتر يطلب الوتر وهو طلب الثأر:

فشفعه في وتره ظاهر	ووتره في شفعه مندرج
وجادت السحب بأمطارها	فكان ما كان بأمر مرج
فحدثت أرضك أخبارها	وأنبتت من كل زوج بهيج
تفنى إذا شاهدت أعيانها	بعين غير الحق فيها المهج
يباين الضد بها ضده	وشكله بشكله مزدوج

ونـزهـة الأبصـار فيمـا بـدا في العـالـم العلـوي بيـن الفـرج
فكـل مـا للعيـن مـن ظـاهـر عنـه إذا حققتـه مـا خـرج

جمع لهذا القطب بين القوتين : القوّة العلمية والقوّة العملية ، فهو صنع لا يفوته صنعه بالفطرة ، وله في كل علم ذوق إلهيّ من المنطقية والرياضية والطبيعية والإلهية ، وكل أصناف هذه العلوم عنده علوم إلهية ، ما أخذها إلاّ عن الله وما رآها سوى الحق ، لها دلالة على الحق ، فكل علم أو مسألة من ذلك العلم له آية ودلالة على الله لا يعرف لها دلالة على غيرها لاستغراقه لأنه مجذوب مراد لم يكن له تمهل فيما هو فيه ، بل وجد فيه أنه هو ثم فتح عينيه فرأى كل شيء رؤية إحاطة بما رأى ، فالزيادة تفيدها إنما هي في تفصيل ما رأى دائماً أبداً لأنه كل مرئي في الوجود فإنه يتنوّع دائماً فلا تزال الإفادة دائماً ، وكل استفادة لم يكن عنده في معلوم لم يزل عالماً به مشهوداً له .

هذا قد ذكرنا من أحوال الاثني عشر قطباً ما يسّر الله ذكره على لساني ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب : ٤] من هؤلاء الأقطاب له الواحد من العدد وهو صاحب التوحيد الخالص ، وآخر له الثاني من العدد ، وهكذا كل واحد إلى الحادي عشر له المائة ، والثاني عشر له الألف ، والمفرد له تركيب الأعداد من أحد عشر إلى ما لا نهاية له ، وذلك للأفراد الذين يعرفون أحدية الكثرة وأحدية الواحد ، جعلنا الله وإياكم ممّن فهم عن الله ما سطره في العالم من العلم به سبحانه الدال وجلّ ، إنه الولي المحسان الجواد الكريم المنان ، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝﴾ [الأحزاب : ٤] .

الفصل الرابع

المهدي من ال البيت (ع)



في معرفة منزل وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان

الذي بشّر به رسول الله ﷺ وهو من أهل البيت

إنّ الإمام إلى الوزير فقير — وعليهما فلك الوجود يدور
والملك إن لم تستقم أحواله — بوجود هذين فسوف يبور
إلا الإله الحق فهو منزّه — ما عنده فيما يريد وزير
جل الإله الحق في ملكوته — عن أن يراه الخلق وهو فقير

اعلم أيدنا الله أن لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد طول الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة يواطىء اسمه اسم رسول الله ﷺ جده الحسن بن علي بن أبي طالب يبايع بين الركن والمقام، يشبه رسول الله ﷺ في خلقه بفتح الخاء وينزل عنه في الخلق بضم الخاء لأنه لا يكون أحد مثل رسول الله ﷺ في أخلاقه والله يقول فيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [القلم: ٤] هو أجلى الجبهة، أقنى الأنف، أسعد الناس به أهل الكوفة، يقسم المال بالسوية، ويعدل في الرعية، ويفصل في القضية، يأتيه الرجل فيقول له: يا مهدي أعطني وبين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله، يخرج على فترة من الدين يزع الله به ما لا يزع بالقرآن يمسي جاهلاً بخيلاً جباناً ويصبح أعلم الناس أكرم الناس أشجع الناس يصلحه الله في ليلة يمشي النصر بين يديه يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً، يقفو أثر رسول الله ﷺ لا يخطىء له ملك يسدده من حيث لا يراه يحمل الكل ويقوّي الضعيف في الحق ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، يفعل ما يقول ويقول ما يعلم ويعلم ما يشهد، يفتح المدينة الرومية بالتكبير في سبعين ألفاً من المسلمين من ولد إسحاق، يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا، يبيد الظلم وأهله، يقيم الدين، ينفخ الروح في الإسلام يعز الإسلام به بعد ذله، ويحيا بعد موته يضع الجزية ويدعو إلى الله بالسيف، فمن أبى قتل ومن نازعه خذل، يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله ﷺ لحكم به، يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلا الدين الخالص أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم، بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم فيدخلون كرهاً تحت حكمه خوفاً من سيفه وسطوته ورغبة فيما لديه، يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم، يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف إلهيّ، له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء يحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله، ينزل عليه عيسى ابن مريم بالمنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين متكئاً على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره. يقطر رأسه ماء مثل الجمان، يتحدر كأنما خرج من ديماس والناس في صلاة العصر فيتنحى له الإمام عن مقامه فيتقدم فيصلي بالناس، يؤم الناس بسنة محمد ﷺ يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويقبض الله المهدي إليه طاهراً مطهراً وفي زمانه يقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق، ويخسف بجيشه في البيداء بين المدينة ومكة حتى لا يبقى من الجيش إلا رجل واحد من جهينة يستبيح هذا الجيش مدينة الرسول ﷺ ثلاثة أيام ثم يرحل يطلب مكة فيخسف الله به في البيداء، فمن كان مجبوراً من ذلك الجيش مكرهاً يحشر على نيته القرآن حاكم والسيف مبيد، ولذلك ورد في الخبر: «ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»:

ألا إن ختم الأولياء شهيد — وعين إمام العالمين فقيد
هو السيد المهدي من آل أحمد — هو الصارم الهندي حين يبيد
هو الشمس يجلو كل غم وظلمة — هو الوابل الوسمي حين يجود

وقد جاءكم زمانه، وأظلكم أوانه، وظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله ﷺ وهو قرن الصحابة، ثم الذي يليه، ثم الذي يلي الثاني، ثم جاء بينهما فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء وسفكت دماء، وعاثت الذئاب

في البلاد وكثر الفساد، إلى أن طم الجور وطما سيله، وأدبر نهار العدل بالظلم حين أقبل ليله، فشهداؤه خير الشهداء، وأمناؤه أفضل الأمناء، وإن الله يستوزر له طائفة خبأهم له في مكنون غيبه أطلعهم كشفاً وشهوداً على الحقائق، وما هو أمر الله عليه في عباده فبمشاورتهم يفصل ما يفصل وهم العارفون الذين عرفوا ما ثم، وأما هو في نفسه فصاحب سيف حق وسياسة مدنية يعرف من الله قدر ما تحتاج إليه مرتبته ومنزله لأنه خليفة مسدد يفهم منطق الحيوان يسري عدله في الإنس والجان من أسرار علم وزرائه الذين استوزرهم الله له قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وهم على أقدام رجال من الصحابة ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] وهم من الأعاجم ما فيهم عربي لكن لا يتكلمون إلا بالعربية لهم حافظ ليس من جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء وأفضل الأمناء، فأعطاهم الله في هذه الآية التي اتخذوها هجيراً وفي ليلهم سميراً، فضل علم الصدق حالاً وذوقاً، فعلموا أن الصدق سيف الله في الأرض ما قام بأحد ولا اتصف به إلا نصره الله لأن الصدق نعته والصادق اسمه، فنظروا بأعين سليمة من الرمد، وسلكوا بأقدام ثابتة في سبيل الرشد، فلم يروا الحق قيد مؤمناً من مؤمن بل أوجب على نفسه نصر المؤمنين، ولم يقل بمن بل أرسلها مطلقة وجلاها محققة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النساء: ١٣٦] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ [النساء: ٩٢] وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ [العنكبوت: ٥٢] فسماهم مؤمنين، وقال: ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر: ١٢] فسمى المشرك مؤمناً فهؤلاء هم المؤمنون الذين أيده الله بهم في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦] فميزهم عن المؤمنين من أهل الكتاب والكتب وما تم مخبر جاء بخبر إلا الرسل، فتعين أن المؤمنين الذي أمروا بالإيمان أنهم الذين آمنوا بالباطل وآمنوا بالشريك عن شبه صرفتهم عن الدليل لأن الذين آمنوا بالباطل كفروا بالله والذين آمنوا بالشريك اشمأزت قلوبهم إذا ذكر الله وحده، فما أتاهم بهذا الخبر إلا أئمتهم المضلون الذين سبقوهم، وكان ذلك في زعمهم عن برهان أعني الأئمة لا عن قصور بل وفوا النظر حقه فما أعطاهم استعدادهم الذي آتاهم الله ما كلف الله نفساً إلا ما آتاها وما آتاها غير ما جاءت به فآمن بذلك أتباعهم وصدقوا في إيمانهم وما قصدوا إلا طريق النجاة ما قصدوا ما يرديهم.

ولما رأوا أن الله يفعل ابتداء ويفعل بالآلة جعلوا الشريك كالوزير معيناً على ظهور بعض الأفعال الحاصلة في الوجود، فلما ذكر الله وحده رأوا أن هذا الذاكر لم يوف الأمر حقه لما علموا من توقف بعض الأفعال على وجود الخلق، وما كان مشهودهم إلا الأفعال الإلهية الحاصلة في الوجود عن الأسباب المخلوقة، فلم يقبلوا توحيد الأفعال لأنهم ما شاهدوه ولو قبلوه أبطلوا حكمة الله فيما وضع من الأسباب علواً وسفلاً، فهذا الذي أداهم إلى الإشمئزاز وعدم الإنصاف، فذمهم الله إيثاراً لجناب المؤمنين الذي لم يروا فاعلاً إلا الله، وأن القدرة الحادثة والأمور الموقوفة على الأسباب لا أثر لها في الفعل، فهذه الطائفة وحدها هي التي خص الله بهذا الخطاب. وأما الذين كفروا بالله فهم الذين ستروه بحجاب الشرك وآمنوا بالباطل والباطل عدم، وما رأوا من ينتفي عنه التشبيه والشرك إلا العدم، فإن الوجود صفة مشتركة، فإيمانهم بالباطل إيمان تنزيه، وكفرهم أي سترهم نسبة الوجود إلى الله لما وقع في ذلك من الاشتراك ولذلك قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧] لأنهم خسروا في تجارتهم وجود ربح وإظهار تمام الأمر على ما هو عليه ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٦] أي الحيرة بالبيان، فأخذوا الحيرة وعلموا أن الأمر عظيم وأن البيان تقيد وهو لا يتقيد فآثروا الحيرة على البيان، وأما أصحاب العقل السليم والنظر الصحيح والإيمان العام فهم الذين أثبتوا الحيرة في مقامها وموطنها فقال ﷺ: «زِدْنِي فِيكَ تَحَيُّراً» وأثبتوا البيان في مقامه الذي لا يتمكن معرفة ذلك الأمر إلا بالبيان ولا يقبل الحيرة، فأعطوا كل ذي حق حقه ووضعوا الحكمة في موضعها فالكل مؤمنون فإن الله سماهم مؤمنين كما سماهم كافرين ومشركين وجعلهم على مراتب في إيمانهم ولهذا قال: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] فيما آمنوا به، كما زادهم مرضاً ورجساً إلى رجسهم فيما كفروا به فمنهم الصادق والأصدق، فينصر الله المؤمن الذي لم يدخله خلل في إيمانه على من دخله خلل في إيمانه فإن الله يخذله على قدر ما دخله من الخلل أي مؤمن كان من المؤمنين فالمؤمن الكامل الإيمان منصور أبداً، ولهذا ما انهزم نبي قط ولا وليّ، ألا ترى يوم حنين لما ادعت الصحابة رضي الله عنهم توحيد الله ثم رأوا كثرتهم فأعجبتهم كثرتهم فنسوا الله عند ذلك فلم تغن عنهم كثرتهم شيئاً، كما لم تغن أولئك آلهتهم من الله شيئاً مع كون الصحابة مؤمنين بلا شك، ولكن دخلهم الخلل باعتمادهم

على الكثرة ونسوا قول الله ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] فما أذن الله هنا إلا للغلبة فأوجده فغلبتهم الفئة القليلة بها عن إذن الله:

فمـــا ثـــم إلا الله ليـــس ســـواه وكـــل بصيـــر بـــالـــوجـــود يـــراه

وأما تأثير الصدق فمشهود في أشخاص ما لهم تلك المكانة من أسباب السعادة التي جاءت بها الشرائع ولكن لهم القد الراسخ في الصدق فيقتلون بالهمة وهي الصدق، قيل لأبي يزيد: أرنا اسم الله الأعظم، فقال لهم: أرونا الأصغر حتى أريك الأعظم أسماء الله كلها عظيمة، فما هو إلا الصدق أصدق وخذ أي اسم شئت فإنك تفعل به ما شئت، وبه أحيا أبو يزيد النملة وأحيا ذو النون ابن المرأة الذي ابتلعه التمساح، فإن فهمت فقد فتحت لك باباً من أبواب سعادتك إن عملت عليه أسعدك الله حيث كنت ولن تخطىء أبداً، ومن هنا تكون في راحة مع الله إذا كانت الغلبة للكافرين على المسلمين، فتعلم أن إيمانهم تزلزل ودخل الخلل وأن الكافرين فيما آمنوا به من الباطل والمشركين لم يتخلخل إيمانهم ولا تزلزلوا فيه، فالنصر أخو الصدق حيث كان يتبعه ولو كان خلاف هذا ما انهزم المسلمون قط كما أنه لم ينهزم نبي قط، وأنت تشاهد غلبة الكفار ونصرتهم في وقت وغلبة المسلمين ونصرتهم في وقت، والصادق من الفريقين لا ينهزم جملة واحدة بل لا يزال ثابتاً حتى يقتل أو ينصرف من غير هزيمة، وعلى هذ القدم وزراء المهدي، وهذا هو الذي يقررونه في نفوس أصحاب المهدي، ألا تراهم بالتكبير يفتحون مدينة الروم فيكبرون التكبير الأولى فيسقط ثلث سورها، ويكبرون الثانية فيسقط الثلث الثاني من السور، ويكبرون الثالثة فيسقط الثلث الثالث فيفتحونها من غير سيف، فهذا عين الصدق الذي ذكرنا وهم جماعة أعني وزراء المهدي دون العشرة.

وإذا علم الإمام المهدي هذا عمل به فيكون أصدق أهل زمانه فوزراؤه الهداة وهو المهدي، فهذا القدر يحصل للمهدي من العلم بالله على أيدي وزرائه، وأما ختم الولاية المحمدية فهو أعلم الخلق بالله لا يكون في زمانه ولا بعد زمانه أعلم بالله وبمواقع الحكم منه فهو والقرآن أخوان، كما أن المهدي والسيف أخوان، وإنما شك رسول الله ﷺ في مدة إقامته خليفة من خمس إلى تسع للشك الذي وقع في وزرائه لأنه لكل وزير معه سنة، فإن كانوا خمسة عاش خمسة، وإن كانوا سبعة عاش سبعة، وإن كانوا تسعة عاش تسعة، فإنه لكل عام أحوال مخصوصة، وعلم ما يصلح في ذلك العام خص به وزير من وزرائه فما هم أقل من خمسة ولا أكثر من تسعة ويقتلون كلهم إلا واحداً منهم في مرج عكاء في المائدة الإلهية التي جعلها الله مائدة لسباع الطير والهوام، وذلك الواحد الذي يبقى لا أدري هل يكون ممن استثنى الله في قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨] أو يموت في تلك النفخة. وأما الخضر الذي يقتله الدجال في زعمه لا في نفس الأمر وهو فتى ممتلىء شباباً هكذا يظهر له في عينه، وقد قيل إن الشاب الذي يقتله الدجال في زعمه أنه واحد من أصحاب الكهف وليس ذلك بصحيح عندنا من طريق الكشف، وظهور المهدي من أشراط قرب الساعة، ويكون فتح مدينة الروم وهي القسطنطينية العظمى والملحمة الكبرى التي هي المأدبة بمرج عكا وخروج الدجال في ستة أشهر، ويكون بين فتح القسطنطينية وخروج الدجال ثمانية عشر يوماً، ويكون خروجه من خراسان من أرض المشرق موضع الفتن تتبعه الأتراك واليهود يخرج إليه من أصبهان وحدها سبعون ألفاً مطيلسين في اتباعه كلهم من اليهود، وهو رجل كهل أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية مكتوب بين عينيه كاف فاء راء فلا أدري هل المراد بهذا الهجاء كفر من الأفعال أو أراد به كافر من الأسماء إلا أنه حذف الألف كما حذفتها العرب في خط المصحف في مواضع مثل ألف الرحمن بين الميم والنون، وكان ﷺ يستعيذ وأمرنا بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال ومن الفتن، فإن الفتن تعرض على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء نعوذ بالله من الفتن.

حدثنا المكي أبو شجاع بن رستم الأصبهاني إمام مقام إبراهيم بالحرم المكي في آخرين كلهم قالوا: حدثنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروحي قال: أخبرنا مشايخي الثلاثة: القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي وأبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي وأبو بكر محمد بن أبي حاتم الغورجي التاجر قال: أخبرنا محمد بن عبد الجبار الجراحي قال: أ أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال: أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي قال: حدثنا علي بن حجر: أ الوليد بن مسلم وعبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن يحيى بن خالد الطائي عن عبد الرحمن بن يزيد جابر دخل حديث أحدهما في حديث الآخر عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن خالد الطائي عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير ع

النواس بن سمعان الكلابي قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل قال: فانصرفنا من عند رسول الله ﷺ ثم رحنا إليه فعرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ فقلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: غير الدجال أخوف لي عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافية شبيه بعبد العزى بن قطن فمن رآه منكم فليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف قال: يخرج ما بين الشام والعراق فعاث يميناً وشمالاً يا عباد الله اثبتوا اثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله أرأيت اليوم الذي كالسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال لا ولكن أقدروا له، قلنا: يا رسول الله فما سرعته في الأرض؟ قال: كالغيث إذا استدبرته الريح فيأتي القوم فيدعوهم فيكذبونه ويردون عليه قوله فينصرف عنهم فتتبعه أموالهم فيصبحون ليس بأيديهم شيء ثم يأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت فتروح عليهم سارحتهم كأطول ما كانت دراً وأمده خواصر وأدره ضروعاً، قال: ثم يأتي الخربة فيقول لها أخرجي كنوزك وينصرف عنها فتتبعه كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً شاباً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ هبط عيسى ابن مريم بشرقي دمشق عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعاً يديه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه انحدر منه جمان كاللؤلؤ قال: ولا يجد ريح نفسه يعني أحد إلا مات وريح نفسه منتهى بصره قال: فيطلبه حتى يدركه بباب لدّ فيقتله قال: ويلبث كذلك ما شاء الله قال: ثم يوحي الله إليه أن أحرز عبادي إلى الطور فإني قد أنزلت عباداً لي لا يد لأحد بقتالهم قال: ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهو كما قال الله تعالى ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] قال: فيمرّ أولهم ببحيرة طبرية فيشربون ما فيها ثم يمرّ بها آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون إلى أن ينتهوا إلى جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض فهلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمراً دماً ويحاصر عيسى ابن مريم وأصحابه حتى يكون رأس الثور يومئذ خيراً لهم من مائة دينار لأحدكم اليوم قال: فيرغب عيسى ابن مريم إلى الله وأصحابه قال: فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى موتى كموت نفس واحدة قال: ويهبط عيسى ابن مريم وأصحابه فلا يجد موضع شبر إلا وقد ملأته زهمتهم ونتنهم ودماؤهم قال: فيرغب عيسى إلى الله وأصحابه قال: فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم بالمهبل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين ويرسل الله عليهم مطراً لا يكن منه بيت ولا وبر ولا مدر قال: فيغسل الأرض ويتركها كالزلفة قال: ثم يقال للأرض أخرجي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله في الرسل حتى أن الفئام من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل، وأن القبيلة ليكتفون باللقحة من البقر، وأن الفخذ ليكتفون باللقحة من الغنم، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً فقبضت روح كل مؤمن ويبقى سائر الناس يتهارجون كما يتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة» قال أبو عيسى: هذا حديث غريب حسن صحيح.

ثم نرجع إلى ما بنينا عليه الباب من العلم بوزراء المهدي ومراتبهم. فاعلم أني على الشك من مدة إقامة هذا المهدي إماماً في هذه الدنيا فإني ما طلبت من الله تحقيق ذلك ولا تعيينه ولا تعيّن حادث من حوادث الأكوان إلا أن يعلمني الله به ابتداء لا عن طلب، فإني أخاف أن يفوتني من معرفتي به تعالى حظ في الزمان الذي أطلب فيه منه تعالى معرفة كون وحادث، بل سلمت أمري إلى الله في ملكه يفعل فيه ما يشاء، فإني رأيت جماعة من أهل الله تعالى يطلبون الوقوف على علم الحوادث الكونية منه تعالى ولا سيما معرفة إمام الوقت، فأنفت من ذلك وخفت أن يسرقني الطبع بمعاشرتهم وهم على هذه الحال وما أردت منه تعالى إلا أن يرزقني الثبوت على قدم واحدة من المعرفة به وإن تقلبت في الأحوال فلا أبالي، ولما رأيته قد قدمني وأخرني ورأيت اختلاف عيني لاختلاف الحال فلم أر عيناً واحدة تثبت فما استقر لي أمر أثبت عليه كما كنت عليه في حال عدمي ورأيت أن حكم الوجود ومقام الشهود حكم على عيني بذلك طلبت الإقالة من وجودي فخاطبته نظماً وحكماً:

لك العتبى أقلني من وجودي	ومن حكم التحقق بالشهود
لقد أصبحت قبلة كل شيء	وقد أمسيت أطلب بالسجود
عجبت لحالتي إذ قال كوني	أنا عين المسوّد والمسود
فإما أن تميزني إماماً	وإما أن أميز في العبيد
لقد لعبت بنا أيدي الخفايا	خفايا الغيب في عين الوجود

فلما سألت ذلك أبان لي عن جهلي وقال لي: أما ترضى أن تكون مثلي؟ ثم أقام لي اختلاف تجليه في الصور وما يدركه من البصر فقلت ما عليّ من اختلاف الأحوال على عين ثابتة لا تقبل التقييد فإني ما أنكرت اختلاف الأحوال فإن الحقائق تعطي ذلك وإنما أقلقني اختلاف العين من وجودي لاختلاف الأحوال، فإني أعلم مع كونك كل يوم في شأن أنك العين الثابتة في الغنى عن العالمين فإني علمت:

أن التحـــوّل فـــي الصـــور نعـــت المهيمـــن بـــالخبر
وبـــذاك أنـــزل وحيـــه فيمـــا تـــلاه مـــن الســـور
ولقـــد رأيـــت مثـــاله بمطـــول وبمختصـــر

أردت بالمطول العالم كله، وبالمختصر الإنسان الكامل لما رأيت أن التقلب في كل ذلك لازم، ففي العالم تقلب الليل والنهار، وفي الإنسان الكامل الذي ساد العالم في الكمال وهو محمد ﷺ سيد الناس يوم القيامة وهو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين، ولما جرى بنا القلم في حلبة العبارة الرقمية لأن التعريف قد يقع لفظاً وكتابة، وقد يقع في العموم عند الخواص بالنظر وقد وجدته، وقد يقع بالضرب وقد وجده رسول الله ﷺ بأمور كثيرة غير ما ذكرنا، وكل ذلك خطاب وتعريف فطريق علم الأخبار ولما كنت على هذه القدم التي جالست الحق عليها أن لا أضيع زماني في غير علمي به تعالى قيض الله واحداً من أهل الله تعالى وخاصته يقال له أحمد بن عقاب اختصه الله بالأهلية صغيراً فوقع منه ابتداء ذكر هؤلاء الوزراء فقال لي: هم تسعة، فقلت إن كانوا تسعة فإن مدة بقاء المهدي لا بد أن تكون تسع سنين فإني علّيم بما يحتاج إليه وزيره، فإن كان واحداً اجتمع في ذلك الواحد جميع ما يحتاج إليه، وإن كانوا أكثر من واحد فما يكونون أكثر من تسعة فإنه إليها انتهى الشك من رسول الله ﷺ في قوله خمساً أو سبعاً أو تسعاً في إقامة المهدي وجميع ما يحتاج إليه مما يكون قيام وزرائه به تسعة أمور لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك وهي: نفوذ البصر، ومعرفة الخطاب الإلهي عند الإلقاء، وعلم الترجمة عن الله، وتعيين المراتب لولاة الأمر، والرحمة في الغضب، وما يحتاج إليه الملك من الأرزاق المحسوسة والمعقولة، وعلم تداخل الأمور بعضها على بعض، والمبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس، والوقوف على علم الغيب الذي يحتاج إليه في الكون في مدته خاصة، فهذه تسعة أمور لا بد أن تكون في وزير الإمام المهدي إن كان الوزير واحداً أو وزرائه إن كانوا أكثر من واحد.

فأما نفوذ البصر فذلك ليكون دعاؤه إلى الله على بصيرة في المدعوّ إليه لا في المدعو فينظر في عين كل مدعوّ ممن يدعوه فيرى ما يمكن له الإجابة إلى دعوته فيدعوه من ذلك ولو بطريق الإلحاح وما يرى منه أنه لا يجيب دعوته يدعوه من غير إلحاح لإقامة الحجة عليه خاصة، فإن المهدي حجة الله على أهل زمانه وهي درجة الأنبياء التي تقع فيها المشاركة قال الله تعالى: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] أخبر بذلك عن نبيه ﷺ، فالمهدي ممن اتبعه وهو ﷺ لا يخطىء في دعائه إلى الله فمتبعه لا يخطىء فإنه يقفوا أثره، وكذا ورد الخبر في صفة المهدي أنه قال ﷺ: «يَقْفُو أَثَرِي لا يُخْطِىءُ» وهذه هي العصمة في الدعاء إلى الله وينالها كثير من الأولياء بل كلهم، ومن حكم نفوذ البصر أن يدرك صاحبه الأرواح النورية والنارية عن غير إرادة من الأرواح ولا ظهور ولا تصوّر كابن عباس وعائشة رضي الله عنهما حين أدركا جبريل عليه السلام وهو يكلم رسول الله ﷺ على غير علم من جبريل بذلك ولا إرادة منه للظهور لهم فأخبرا بذلك رسول الله ﷺ ولم يعلما أنه جبريل عليه السلام فقال لها ﷺ: أو قد رأيته؟ وقال لابن عباس: أرأيته؟ قالا نعم، قال: ذلك جبريل. وكذلك يدركون رجال الغيب في حال إرادتهم الاحتجاب وأن لا يظهروا للأبصار فيراهم صاحب هذا الحال، ومن نفوذ البصر أيضاً أنهم إذا تجسدت لهم المعاني يعرفونها في عين صورها فيعلمون أي معنى هو ذلك الذي تجسد من غير توقف.

(وصل): وأما معرفة الخطاب الإلهيّ عند الإلقاء فهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١] فأمّا الوحي من ذلك فهو ما يلقيه في قلوبهم على جهة الحديث فيحصل لهم من ذلك علم بأمر مّا، الذي تضمنه ذلك الحديث، وإن لم يكن كذلك فليس بوحي ولا خطاب، فإن بعض القلوب يجد أصحابها علماً بأمر مّا من العلوم الضرورية عند الناس فذلك علم صحيح ليس عن خطاب، وكلامنا إنما هو في الخطاب الإلهي المسمى وحياً، فإن الله تعالى جعل مثل هذا الصنف من الوحي كلاماً، ومن الكلام يستفيد العلم بالذي جاء له ذلك الكلام، وبهذا يفرق إذا وجد ذلك. وأما

تعالى: ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١] فهو خطاب إلهي يلقيه على السمع لا على القلب فيدركه من ألقي عليه فيفهم منه ما قصد به من أسمعه ذلك وقد يحصل له ذلك في صور التجلي فتخاطبه تلك الصورة الإلهية وهي عين الحجاب فيفهم من ذلك الخطاب علم ما يدل عليه ويعلم أن ذلك حجاب وأن المتكلم من وراء ذلك الحجاب، وما كل من أدرك صورة التجلي الإلهي يعلم أن ذلك هو الله، فما يزيد صاحب هذه الحال على غيره إلا بأن يعرف أن تلك الصورة وإن كانت حجاباً فهي عين تجلي الحق له.

وأما قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [الشورى: ٥١] فهو ما ينزل به الملك أو ما يجيء به الرسول البشريّ إلينا إذا نقلا كلام الله خاصة مثل التالي قال تعالى: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦] وقوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿ نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [النمل: ٨] فإن نقلا علماً وأفصحا عنه ووجداه في أنفسهما فذلك ليس بكلام إلهي وقد يكون الرسول والصورة معاً وذلك في نفس الكتابة، فالكتاب رسول وهو عين الحجاب على المتكلم فيفهمك ما جاء به ولكن لا يكون ذلك إذا كتب ما علم، وإنما يكون ذلك إذا كتب عن حديث يخاطبه به تلك الحروف التي يسطرها، ومتى لم يكن كذلك فما هو كلام، هذا هو الضابط، فالالقاء للرسل والإلقاء للخبر الإلهي بارتفاع الوسائط من كونه كلمه لا غير، والكتابة رقوم مسطرة حيث كانت لم تسطر إلا عن حديث ممن سطرها لا عن علم، فهذا كله من الخطاب الإلهي لصاحب هذا المقام.

وأما علم الترجمة عن الله فذلك لكل من كلمه الله في الإلقاء والوحي فيكون المترجم خلافاً لصور الحروف اللفظية أو المرقومة التي يوجدها ويكون روح تلك الصور كلام الله لا غير، فإن ترجم عن علم فما هو مترجم لا بد من ذلك، يقول الولي: حدثني قلبي عن ربي وقد يترجم المترجم عن ألسنة الأحوال وليس من هذا الباب بل ذلك من باب آخر يرجع إلى عين الفهم بالأحوال وهو معلوم عند علماء الرسوم وعلى ذلك يخرجون قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤] يقولون يعني بلسان الحال وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] فجعلوا هذه الإباية والإشفاق حالاً لا حقيقة، وكذلك قوله عنهما: ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١] قول حال لا قول خطاب، وهذا كله ليس بصحيح ولا مراد في هذه الآيات بل الأمر على ظاهره كما ورد هكذا يدركه أهل الكشف، فإذا ترجموا من الموجودات فإنما يترجمون عما تخاطبهم به لا عن أحوالهم إذ لو نطقوا لقالوا هذا، وأصحاب هذا القول انقسموا على قسمين: فبعضهم يقول إن كان هذا وأمثاله نطقاً حقيقة وكلاماً فلا بد أن يخلق في هؤلاء الناطقين حياة وحينئذ يصح أن يكون حقيقة، وجائز أن يخلق الله فيهم حياة ولكن لا علم لنا بذلك أن الأمر وقع كما جوّزناه أو هو لسان حال، فأما أصحاب ذلك القول فكذا وقع في نفس الأمر لأن كل ما سوى الله حيّ ناطق في نفس الأمر، فلا معنى للأحوال مع هذا عند أهل الكشف والوجود. وأما القسم الآخر وهم الحكماء فقالوا: إن هذا لسان حال ولا بدّ لأنه من المحال أن يحيا الجماد، وهذا قول محجوب بأكثف حجاب فما في العالم إلا مترجم إذا ترجم عن حديث إلهيّ فافهم ذلك.

وأما تعيين المراتب لولاة الأمر فهو العلم بما تستحقه كل مرتبة من المصالح التي خلقت لها، فينظر صاحب هذا العلم في نفس الشخص الذي يريد أن يوليه ويرفع الميزان بينه وبين المرتبة، فإذا رأى الاعتدال في الوزن من غير ترجيح لكفة المرتبة ولاه وإن رجح الوالي فلا يضرّه وإن رجحت كفة المرتبة عليه لم يوله لأنه ينقص عن علم ما رجحه به فيجور بلا شك وهو أصل الجور في الولاة، ومن المحال عندنا أن يعلم ويعدل عن حكم علمه جملة واحدة وهو جائز عند علماء الرسوم وعندنا هذا الجائز ليس بواقع في الوجود وهي مسألة صعبة ولهذا يكون المهديّ «يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» يعني الأرض فإن العلم عندنا يقتضي العمل ولا بد وإلا فليس بعلم وإن ظهر بصورة علم والمراتب ثلاثة وهي التي ينفذ فيها حكم الحاكم وهي: الدماء والأعراض والأموال، فيعلم ما تطلبه كل مرتبة من الحكم الإلهيّ المشروع وينظر في الناس، فمن رأى أنه جمع ما تطلبه تلك المرتبة نظر في مزاج ذلك الجامع فإن رآه يتصرّف تحت حكم العلم علم أنه عاقل فولاه، وإن رآه يحكم على علمه وأن علمه معه مقهور تحت حكم شهوته وسلطان هواه لم يوله مع علمه بالحكم، قال بعض الملوك لبعض جلسائه من أهل الرأي والنظر الصحيح حين استشاره فقال له: من ترى أن أولي أمور الناس؟ فقال: ولّ على أمور الناس رجلاً عاقلاً فإن العاقل يستبرىء لنفسه، فإن كان عالماً حكم بما علم، وإن لم يكن عالماً بتلك الواقعة ما حكمها حكم عليه عقله أن يسأل من يدري الحكم الإلهيّ المشروع في تلك النازلة، فإذا عرفه حكم فيها فهذا فائدة العقل، فإن كثيراً ممن ينتمي إلى الدين والعلم الرسميّ تحكم شهوتهم عليهم، والعاقل ليس كذلك، فإن العقل يأبى إلا الفضائل فإنه يقيد صاحبه عن التصرّف فيما لا ينبغي ولهذا سمي عقلاً من العقال.

وأما الرحمة في الغضب فلا يكون ذلك إلا في الحدود المشروعة والتعزير، وما عدا ذلك فغضب ليس فيه من الرحمة
ولذلك قال أبو يزيد: بطشي أشدّ لما سمع القارىء يقرأ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] فإن الإنسان إذا غضب لنفسه
يتضمن ذلك الغضب رحمة بوجه وإذا غضب لله فغضبه غضب الله وغضب الله لا يخلص عن رحمة إلهية تشوبه فغضبه في الدنيا
نصبه من الحدود والتعزيرات، وغضبه في الآخرة ما يقيم من الحدود على من يدخل النار، فهو وإن كان غضباً فهو تطهير لما
من الرحمة في الدنيا والآخرة، لأن الرحمة لما سبقت الغضب في الوجود عمت الكون كله ووسعت كل شيء، فلما جاء الغضب
في الوجود وجد الرحمة قد سبقته ولا بد من وجوده، فكان مع الرحمة كالماء مع اللبن إذا شابه وخالطه، فلم يخلص الماء
اللبن، كذلك لم يخلص الغضب من الرحمة، فحكمت على الغضب لأنها صاحبة المحل، فينتهي غضب الله في المغضوب
عليهم، ورحمة الله لا تنتهي، فهذا المهدي لا يغضب إلا لله فلا يتعدى في غضبه إقامة حدود الله التي شرعها بخلاف من يغضب
لهواه ومخالفة غرضه، فمثل هذا الذي يغضب لله لا يمكن أن يكون إلا عادلاً ومقسطاً لا جائراً ولا قاسطاً، وعلامة من يدعي
المقام إذا غضب لله وكان حاكماً وأقام الحد على المغضوب عليه يزول عنه الغضب على ذلك الشخص عند الفراغ منه وربما
إليه وعانقه وآنسه وقال له: أحمد الله الذي طهرك وأظهر له السرور والبشاشة به وربما أحسن إليه بعد ذلك هذا ميزانه ويرجع لذلك
المحدود رحمة كله، وقد رأيت ذلك لبعض القضاة ببلاد المغرب قاضي مدينة سبتة يقال له أبو إبراهيم بن يغمور وكان يسمع
الحديث على شيخنا أبي الحسين بن الصائغ من ذرية أبي أيوب الأنصاري وعلى أبي الصبر أيوب الفهري وعلى أبي محمد
عبد الله الحجري بسبتة في زمان قضائه بها وما كان يأتي إلى السماع راكباً قط بل يمشي بين الناس، فإذا لقيه رجلان تخاصما
وتداعيا إليه وقف إليهما وأصلح بينهما، غزير الدمعة طويل الفكرة كثير الذكر، يصلح بين القبيلتين بنفسه فيصطلحان ببركة
والقاضي إن بقي معه الغضب على المحدود بعد أخذ حق الله منه فهو غضب نفس وطبع أو لأمر في نفسه لذلك المحدود ما هو غضب
فلذلك لا يأجره الله فإنه ما قام في ذلك مراعاة لحق الله وهذا من قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] فابتلاهم أولاً
كلفهم فإذا عملوا ابتلى أعمالهم هل عملوها لخطاب الحق أو عملوها لغير ذلك؟ وهو قوله عز وجل أيضاً: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾
[الطارق: ٩] وهذا ميزانه عند أهل الكشف فلا يغفل الحاكم عند إقامة الحدود عن النظر في نفسه وليحذر من التشفي الذي يكون
للنفوس، ولهذا نهى عن الحكم في حال غضبه، ولو لم يكن حاكماً في حق من ابتلي بإقامة حد عليه، فإن وجد لذلك تشفياً في
أنه ما قام في ذلك لله وما عنده فيه خير من الله، وإذا فرح بإقامة الحد على المحدود إن لم يكن فرحة له لما سقط عنه ذلك الحد
الآخرة من المطالبة وإلا فهو معلول، وما عندي في مسائل الأحكام المشروعة بأصعب من الزنا خاصة ولو أقيم عليه الحد فإني
أعلم أنه يبقى عليه بعد إقامة الحد مطالبات من مظالم العباد. واعلم أن غير الحاكم ما عين الله له إقامة الحد عليه فلا ينبغي أن يقوم
به غضب عند تعدي الحدود، فليس ذلك إلا للحكام خاصة ولرسول الله ﷺ من حيث ما هو حاكم، فلو كان مبلغاً لا حاكماً لم يقم
به غضب على من رد دعوته فإنه ليس له من الأمر شيء وليس عليه هداهم فإن الله يقول في هذا للرسول ﷺ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾
[الشورى: ٤٨] وقد بلغ فأسمع الله من شاء وأصم من شاء فهم أعقل الناس أعني الأنبياء، وإذا كوشف الداعي على من أصمه
عن الدعوة فما سمعها لم يتغير لذلك فإن الصائح إذا نادى من قام به الصمم وعلم أنه لم يسمع نداءه لم يجد عليه وقام عذره عنده
فإن كان الرسول حاكماً تعين عليه الحكم بما عين الله له فيه، وهذا علم شريف يحتاج إليه كل وال في الأرض على العالم.

وأما علم ما يحتاج إليه الملك من الأرزاق فهو أن يعلم أصناف العالم وليس إلا اثنان وأعني بالعالم الذي يمشي فيهم حكم
هذا الإمام وهم: عالم الصور وعالم الأنفس المدبرون لهذه الصور فيما يتصرّفون فيه من حركة أو سكون، وما عدا هذين الصنفين
فما له عليهم حكم إلا من أراد منهم أن يحكمه على نفسه كعالم الجان. وأما العالم النوراني فهم خارجون عن أن يكون للملك
البشريّ عليهم تولية، فكل شخص منهم على مقام معلوم عينه له ربه فما يتنزل إلا بأمر ربه، فمن أراد تنزيل واحد منهم فيتوجه
ذلك إلى ربه وربه يأمره ويأذن له في ذلك إسعافاً لهذا السائل أو ينزله عليه ابتداء. وأما السائحون منهم فمقامهم المعلوم كونهم
سياحين يطلبون مجالس الذكر، فإذا وجدوا أهل الذكر وهم أهل القرآن الذاكرون القرآن فلا يقدمون عليهم أحداً من مجالس
الذاكرين بغير القرآن، فإذا لم يجدوا ذلك ووجدوا الذاكرين الله لا من كونهم تالين قعدوا إليهم ونادى بعضهم بعضاً هلموا إلى
بغيتكم فذلك رزقهم الذي يعيشون به وفيه حياتهم. فإذا علم الإمام ذلك لم يزل يقيم جماعة يتلون آيات الله آناء الليل والنهار، و

كنا بفاس من بلاد المغرب قد سلكنا هذا المسلك لموافقة أصحاب موفقين كانوا لنا سامعين وطائعين وفقدناهم ففقدنا لفقدهم هذا العمل الخالص وهو أشرف الأرزاق وأعلاها فأخذنا لما فقدنا مثل هؤلاء في بث العلم من أجل الأرواح الذين غذاؤهم العلم، ورأينا أن لا نورد شيئاً منه إلا من أصل هو مطلوب لهذا الصنف الروحاني وهو القرآن، فجميع ما نتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه أعطيت مفتاح الفهم فيه والإمداد منه، وهذا كله حتى لا نخرج عنه فإنه أرفع ما يمنح، ولا يعرف قدره إلا من ذاقه وشهد منزلته حالاً من نفسه وكلمه به الحق في سرّه، فإن الحق إذا كان هو المكلم عبده في سرّه بارتفاع الوسائط فإن الفهم يستصحب كلامه منك، فيكون عين الكلام منه عين الفهم منك لا يتأخر عنه فإن تأخر عنه فليس هو كلام الله، ومن لم يجد هذا فليس عنده علم بكلام الله عباده، فإذا كلمه بالحجاب الصوري بلسان نبيّ أو من شاء الله من العالم فقد يصحبه الفهم وقد يتأخر عنه هذا هو الفرق بينهما.

وأما الأرزاق المحسوسة فإنه لا حكم له فيها إلا في بقية الله فمن أكل مما خرج عن هذه البقية لم يأكل من يد هذا الإمام العادل، وليس مسمى رزق الله في حق المؤمنين إلا بقية الله، وكل رزق في الكون من بقية الله، وما بقي إلا أن يفرق بينهما، وذلك أن جميع ما في العالم من الأموال لا يخلو إما أن يكون لها مالك معين أو لا يكون لها مالك، فإن كان لها مالك معين فهي من بقية الله لهذا الشخص، وإن لم يكن لها مالك معين فهي لجميع المسلمين، فجعل الله لهم وكيلاً هذا الإمام يحفظ عليهم ذلك، فهذا من بقية الله الذي زاد على المال المملوك، فكل رزق في العالم بقية الله، إن عرفت معنى بقية الله فمال زيد بقية الله لزيد لما حجر الله عليه التصرّف في مال عمرو بغير إذنه، ومال عمرو بقية الله لعمر ولما حجر عليه التصرّف في مال زيد بغير إذنه، فما في العالم رزق إلا وهو بقية الله، فيحكم الإمام فيه بقدر ما أنزل الله من الحكم فيه فاعلم ذلك، فالناس على حالتين: اضطرار وغير اضطرار، فحال الإضطرار يبيح قدر الحاجة في الوقت ويرفع عنه حكم التحجير، فإذا نال ما يزيلها به رجع عليه حكم التحجير، فإن كان المضطرّ قد تصرّف فيما هو ملك لأحد تصرّف فيه بحكم الضمان في قول وبغير ضمان في قول، فإن وجد أدّاه عند القائل بالضمان، وإن لم يجد فإمام الوقت يقوم عنه في ذلك من بيت المال، وإن كان المتصرّف قد تصرّف فيما لا يملكه أحد أو يملكه الإمام بحكم الوكالة المطلقة من الله له فلا شيء عليه لا ضمان ولا غيره، وهذا علم يتعين المعرفة به على إمام الوقت لا بدّ منه، فما تصرّف أحد من المكلفين بالوجه المشروع إلا في بقية الله، قال الله عز وجل: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦] وهو حكم فرعيّ، وإنما الأصل أن الله خلق لنا ما في الأرض جميعاً ثم حجر وأبقى فما أبقاه سماه بقية الله وما حجر سماه حراماً أي المكلف ممنوع من التصرّف فيه حالاً أو زماناً أو مكاناً مع التحجير، فإنّ الأصل التوقف عن إطلاق الحكم فيه بشيء، فإذا جاء حكم الله فيه كنا بحسب الحكم الإلهيّ الذي ورد به الشرع إلينا، فمن عرف هذا عرف كيف يتصرّف في الأرزاق.

وأما علم تداخل الأمور بعضها على بعض فهذا معنى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [فاطر: ١٣] فالمولج ذكر والمولج فيه أنثى، هذا الحكم له مستصحب حيث ظهر، فهو في العلوم العلم النظري، وهو في الحس النكاح الحيوانيّ والنباتي، وليس شيء من ذلك مراداً لنفسه فقط بل هو مراد لنفسه ولما ينتجه، ولولا اللحمة والسدا[1] ما ظهر للشفة عين وهو سار في جميع الصنائع العملية والعلمية، فإذا علم الإمام ذلك لم تدخل عليه شبهة في أحكامه، وهذا هو الميزان الموضوع في العالم في المعاني والمحسوسات، والعاقل يتصرّف بالميزان في العالمين بل في كل شيء له التصرّف فيه، وأما الحاكمون بالوحي المنزل أهل الإلقاء من الرسل وأمثالهم فما خرجوا عن التوالج، فإن الله جعلهم محلاً لما يلقى إليهم من حكمه في عباده، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣] وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] فما ظهر حكم في العالم من رسول إلا عن نكاح معنوي لا في النصوص ولا في الحاكمين بالقياس، فالإمام يتعين عليه علم ما يكون بطريق التنزيل الإلهيّ وبين ما يكون بطريق القياس وما يعلمه المهدي أعني علم القياس ليحكم به وإنما يعلمه ليتجنبه، فما يحكم المهدي إلا بما يلقي إليه الملك من عند الله الذي بعثه الله إليه ليسدّده، وذلك هو الشرع الحقيقيّ المحمدي الذي لو كان محمد ﷺ حياً ورفعت إليه تلك النازلة لم يحكم فيها إلا بما يحكم هذا الإمام، فيعلمه الله أن ذلك هو الشرع المحمدي فيحرم عليه القياس مع وجود النصوص التي منحه الله إياها ولذلك قال رسول الله ﷺ في صفة المهدي: «يَقْفُو أَثَرِي لاَ يُخْطِىءُ» فعرفنا أنه متبع لا متبوع،

---

(١) هكذا في المطبوعة.

وأنه معصوم ولا معنى للمعصوم في الحكم إلا أنه لا يخطىء، فإن حكم الرسول لاينسب إليه خطأ، فإنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: ٣، ٤] كما أنه لا يسوغ القياس في موضع يكون فيه الرسول ﷺ موجوداً وأهل الكشف النبيّ عندهم موجود فلا يأخذون الحكم إلا عنه، ولهذا الفقير الصادق لا ينتمي إلى مذهب إنما هو مع الرسول الذي هو مشهود له، كما أن الرسول مع الوحي الذي ينزل عليه، فينزل على قلوب العارفين الصادقين من الله التعريف بحكم النوازل أنه حكم الشرع الذي بعث به رسول الله ﷺ وأصحاب علم الرسوم ليست لهم هذه المرتبة لما أكبوا عليه من حب الجاه والرياسة والتقدّم على عباد الله وافتقار العامّة إليهم، فلا يفلحون في أنفسهم ولا يفلح بهم، وهي حالة فقهاء الزمان الراغبين في المناصب من قضاء وشهادة وحسبة وتدريس. وأما المتنمسون منهم بالدين فيجمعون أكتافهم وينظرون إلى الناس من طرف خفي نظر الخاشع ويحركون شفاههم بالذكر ليعلم الناظر إليهم أنهم ذاكرون، ويتعجمون في كلامهم ويتشدقون ويغلب عليهم رعونات النفس وقلوبهم قلوب الذئاب لا ينظر الله إليهم، هذا حال المتدين منهم لا الذين هم قرناء الشيطان لا حاجة لله بهم، لبسوا للناس جلود الضأن من اللين أخوان العلانية أعداء السريرة، فالله يراجع بهم ويأخذ بنواصيهم إلى ما فيه سعادتهم، وإذا خرج هذا الإمام المهدي فليس له عدوّ مبين إلا الفقهاء خاصة فإنهم لا تبقى لهم رياسة ولا تمييز عن العامة، ولا يبقى لهم علم بحكم إلا قليل، ويرتفع الخلاف من العالم في الأحكام بوجود هذا الإمام، ولولا أن السيف بيد المهدي لأفتى الفقهاء بقتله، ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطمعون ويخافون فيقبلون حكمه من غير إيمان بل يضمرون خلافه كما يفعل الحنفيون والشافعيون فيما اختلفوا فيه، فلقد أخبرنا أنهم يقتتلون في بلاد العجم أصحاب المذهبين ويموت بينهما خلق كثير ويفطرون في شهر رمضان ليتقووا على القتال، فمثل هؤلاء لولا قهر الإمام المهدي بالسيف ما سمعوا له ولا أطاعوه بظواهرهم. كما أنهم لا يطيعونه بقلوبهم بل يعتقدون فيه أنه إذا حكم فيهم بغير مذهبهم أنه على ضلالة في ذلك الحكم، لأنهم يعتقدون أن زمان أهل الاجتهاد قد انقطع وما بقي مجتهد في العالم، وأن الله لا يوجد بعد أئمتهم أحداً له درجة الاجتهاد، وأما من يدعي التعريف الإلهيّ بالأحكام الشرعية فهو عندهم مجنون مفسود الخيال لا يلتفتون إليه، فإن كان ذا مال وسلطان انقادوا في الظاهر إليه رغبة في ماله وخوفاً من سلطانه وهم ببواطنهم كافرون به.

وأما المبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس فإنه متعين على الإمام خصوصاً دون جميع الناس، فإن الله ما قدمه على خلقه ونصبه إماماً لهم إلا ليسعى في مصالحهم هذا والذي ينتجه هذا السعي عظيم، وله في قصة موسى عليه السلام لما مشى في حق أهله ليطلب لهم ناراً يصطلون بها ويقضون بها الأمر الذي لا ينقضي إلا بها في العادة وما كان عنده عليه السلام خبر بما جاءه فأسفرت له عاقبة ذلك الطلب عن كلام ربه فكلمه الله تعالى في عين حاجته وهي النار في الصورة ولم يخطر له عليه السلام ذلك الأمر بخاطر، وأي شيء أعظم من هذا؟ وما حصل له إلا في وقت السعي في حق عياله ليعلمه بما في قضاء حوائج العائلة من الفضل فيزيد حرصاً في سعيه في حقهم، فكان ذلك تنبيهاً من الحق تعالى على قدر ذلك عند الله تعالى وعلى قدرهم لأنهم عبيده على كل حال، وقد وكل هذا على القيام بهم كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤] فأنتج له الفرار من الأعداء الطالبين قتله الحكم والرسالة كما أخبر الله تعالى من قوله عليه السلام ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ [الشعراء: ٢١] وأعطاه السعي على العيال وقضاء حاجاتهم كلام الله وكله سعي بلا شك، فإن الفارّ أتى في فراره بنسبة حيوانية فرت نفسه من الأعداء طلباً للنجاة وإبقاء للملك والتدبير على النفس الناطقة، فما سعى بنفسه الحيوانية في فراره إلا في حق النفس الناطقة المالكة تدبير هذا البدن، وحركة الأئمة كلهم العادلة إنما تكون في حق الغير لا في حق أنفسهم، فإذا رأيتم السلطان يشتغل بغير رعيته وما يحتاجون إليه فاعلموا أنه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل ولا فرق بينه وبين العامة. ولما أراد عمر بن عبد العزيز يوم ولي الخلافة أن يقيل راحة لنفسه لما تعب من شغله بقضاء حوائج الناس دخل عليه ابنه فقال له: يا أمير المؤمنين أنت تستريح وأصحاب الحاجات على الباب من أراد الراحة لا يلي أمور الناس، فبكى عمر وقال: الحمد لله الذي أخرج من ظهري من ينبهني ويدعوني إلى الحق ويعينني عليه، فترك الراحة وخرج إلى الناس. وكذلك خضر واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن غابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام كان في جيش فبعثه أمير الجيش يرتاد لهم ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منه فعاش إلى الآن وكان لا يعرف ما خص الله به من الحياة شارب ذلك الماء، ولقيته بإشبيلية، وأفادني التسليم للشيوخ وأن لا أنازعهم، وكنت في ذلك اليوم قد نازعت شيخاً في مسألة وخرجت من عنده فلقيت الخضر بقوس الحنية فقال لي: سلم إلى الشيخ

مقالته، فرجعت إلى الشيخ من حيني فلما دخلت عليه منزله فكلمني قبل أن أكلمه وقال لي: يا محمد أحتاج في كل مسألة تنازعني فيها أن يوصيك الخضر بالتسليم للشيوخ، فقلت له: يا سيدنا ذلك هو الخضر الذي أوصاني؟ قال: نعم، قلت له: الحمد لله هذي فائدة، ومع هذا فما هو الأمر إلا كما ذكرت لك، فلما كان بعد مدة دخلت على الشيخ فوجدته قد رجع إلى قولي في تلك المسألة وقال لي: إني كنت على غلط وأنت المصيب، فقلت له: يا سيدي علمت الساعة أن الخضر ما أوصاني إلا بالتسليم ما عرفني بأنك مصيب في تلك المسألة فإنه ما كان يتعين علي نزاعك فيها فإنها لم تكن من الأحكام المشروعة التي يحرم السكوت عنها، وشكرت الله على ذلك، وفرحت للشيخ الذي تبين له الحق فيها، وهذا عين الحياة ماء خص الله به من الحياة شارب ذلك الماء، ثم عاد إلى أصحابه فأخبرهم بالماء فسارع الناس إلى ذلك الموضع ليستقوا منه، فأخذ الله بأبصارهم عنه فلم يقدروا عليه، فهذا ما أنتج له سعيه في حق الغير، وكذلك من والى في الله وعادى في الله وأحب في الله وأبغض في الله فهو من هذا الباب، قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] فما يدري أحد ما لهم من المنزلة عند الله لأنهم ما تحرّكوا ولا سكنوا إلا في حق الله لا في حق أنفسهم إيثاراً لجناب الله على ما يقتضيه طبعهم.

وأما الوقوف على علم الغيب الذي يحتاج إليه في الكون خاصة في مدة خاصة وهي تاسع مسألة ليس وراءها ما يحتاج إليه الإمام في إمامته وذلك أن الله تعالى أخبر عن نفسه أنه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] والشأن ما يكون عليه العالم في ذلك اليوم، ومعلوم أن ذلك الشأن إذا ظهر في الوجود عرف أنه معلوم لكل من شهده، فهذا الإمام من هذه المسألة له اطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق أن يحدثه من الشؤون قبل وقوعها في الوجود، فيطلع في اليوم الذي قبل وقوع ذلك الشأن على ذلك الشأن، فإن كان مما فيه منفعة لرعيته شكر الله وسكت عنه، وإن كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله فيهم وشفع وتضرع فصرف الله عنهم ذلك البلاء برحمته وفضله وأجاب دعاءه وسؤاله، فلهذا يطلعه الله عليه قبل وقوعه في الوجود أصحابه، ثم يطلعه الله في تلك الشؤون على النوازل الواقعة من الأشخاص ويعين له الأشخاص بحليتهم، حتى إذا رآهم لا يشك فيهم أنهم عين ما رآه، ثم يطلعه الله على الحكم المشروع في تلك النازلة الذي شرع الله لنبيه محمد ﷺ أن يحكم به فيها فلا يحكم إلا بذلك الحكم فلا يخطىء أبداً، وإذا أعمى الله الحكم عليه في بعض النوازل ولم يقع له عليه كشف كان غايته أن يلحقها في الحكم بالمباح، ويعلم بعدم التعريف أن ذلك حكم الشرع فيها فإنه معصوم عن الرأي والقياس في الدين، فإن القياس ممن ليس بنبي حكم على الله في دين الله بما لا يعلم فإنه طرد علة، وما يدريك لعل الله لا يريد طرد تلك العلة، ولو أرادها لأبان عنها على لسان رسوله ﷺ وأمر بطردها، هذا إذا كانت العلة مما نص الشرع عليها في قضية، فما ظنك بعلة يستخرجها الفقيه بنفسه ونظره من غير أن يذكرها الشرع بنص معين ثم بعد استنباطه إياها يطردها فهذا تحكم على تحكم بشرع لم يأذن به الله، وهذا يمنع المهدي من القول بالقياس في دين الله ولا سيما وهو يعلم أن مراد النبيّ التخفيف في التكليف عن هذه الأمة ولذلك كان يقول ﷺ: «اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ» وكان يكره السؤال في الدين خوفاً من زيادة الحكم، فكل ما سكت له عنه ولم يطلع على حكم فيه معين جعله عاقبة الأمر في الحكم بحكم الأصل، وكل ما أطلعه الله عليه كشفاً وتعريفاً فذلك حكم الشرع المحمدي في المسألة وقد يطلعه الله في أوقات على المباح أنه مباح وعاقبة فكل مصلحة تكون في حق رعاياه يطلعه الله عليها ليسأله فيه، وكل فساد يريد الله أن يوقعه برعاياه فإن الله يطلعه عليه ليسأل الله في رفع ذلك عنهم لأنه عقوبة كما قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] فالمهدي رحمة كما كان رسول الله ﷺ رحمة، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] والمهدي يقفو أثره لا يخطىء فلا بد أن يكون رحمة، كان رسول الله ﷺ يقول لما جرح: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ» يعتذر لربه عنهم ولما علم أنه بشر وأن أحكام البشرية قد تغلب عليه في أوقات دعا ربه فقال: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ» يعني أغضب عليهم وأرضى لنفسي: «اللَّهُمَّ مَنْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ فَاجْعَلْ دُعَائِي عَلَيْهِ رَحْمَةً لَهُ وَرِضْوَاناً».

فهذه تسعة أمور لم تصح لإمام من أئمة الدين خلفاء الله ورسوله بمجموعها إلى يوم القيامة إلا لهذا الإمام المهدي، كما أنه ما نص رسول الله ﷺ على إمام الدين يكون بعده يرثه ويقفو أثره لا يخطىء إلا المهدي خاصة، فقد شهد بعصمته في أحكامه، كما

شهد الدليل العقلي بعصمة رسول الله ﷺ فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له في عباده.

وفي هذا المنزل من العلوم: علم الاشتراك في الأحدية وهو الاشتراك العام مثل قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فوصف نفسه تعالى بالأحدية وهذه السورة نسب الحق تعالى وأفرد العبادة له من كل أحد. وفيه علم الإنزال الإلهي وفيه علم المعنى الذي جعل الكتابة كلاماً وحقيقة الكلام معلومة عند العقلاء، والكلام مسألة مختلف فيها بين النظار. وفيه علم الكلام المستقيم من الكلام المعوج وبماذا يعرف استقامة الكلام من معوجه. وفيه علم ما جاءت به الرسل عموماً وخصوصاً وفيه علم من تكلم بغير علم هل هو علم في نفس الأمر ولا علم عند من يرى أنه ليس بعلم أنه علم مع كونه يعلم أنه لا منطق إلا الله. وفيه علم معرفة الصدق والكذب ولماذا يرجعان والصادق والكاذب. وفيه علم إذا علمه الإنسان ارتفع عنه الحرج في نفسه إذا رأى ما جرت به العادة في النفوس من الأمور العوارض أن يؤثر فيها حرجاً حتى يود الإنسان أن يقتل نفسه لما يراه وهذا يسمى علم الراحة وهو علم أهل الجنة خاصة، فمن فتح الله به على أحد من أهل الدنيا في الدنيا فقد عجلت له راحة الأبد مع ملازمة الأدب ممن هذه صفته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر مرتبته. وفيه علم ما أظهر الله للأبصار على الأجسام أنه حلية الأجسام ومن قبح عنده بعض ما ظهر لماذا قبح عنده ومن رآه كله حسناً لما رآه وبأي عين رآه فيقابله من ذاته بأفعال حسنة، وهذا العلم من أحسن علم في العالم وأنفعه وهو الذي يقول بعض المتكلمين فيه: لا فاعل إلا الله، وأفعاله كلها حسنة فهؤلاء لا يقبحون من أفعال الله إلا ما قبحه الله فذلك لله تعالى لا لهم، ولو لم يقبحوا ما قبح الله لكانوا منازعين لله عز وجل.

وفيه علم ما وضعه الله في العالم على سبيل التعجب وليس إلا ما خرق به العادة، وأما الذي يعقلون عن الله فكل شيء في العادة عندهم فيه تعجب، وأما أصحاب العوائد فإنهم لا تعجب عندهم إلا فيما ظهر فيه خرق العادة. وفيه علم التشوق إلى معالي الأمور من جبلة النفوس وبماذا تعلم معالي الأمور هل بالعقل أو بالشرع؟ وما هي معالي الأمور؟ وهل هي أمر يعم العقلاء أو هو ما يراه زيد من معالي الأمور لا يراه عمرو بتلك الصفة فيكون إضافياً؟ وفيه علم دخول الأطول في الأقصر وهو إيراد الكبير على الصغير. وفيه علم أحكام الحق في الخلق إذا ظهر وإذا بطن ومن أي حقيقة يقبل الاتصاف بالظهور والبطون. وفيه علم الحيرة التي لا يمكن لمن دخل فيها أن يخرج منها. وفيه علم من يرى أمراً على خلاف ما هو عليه ذلك الأمر في نفسه وهل يصح لصاحب هذا العلم أن يجمع بين الأمرين أم لا؟ وفيه علم اتساع البرازخ وضيقها. وفيه علم ما للإعتدال والانحراف من الأثر فيما ينحرف عنه أو يقابل. فيه علم الأحوال في العالم وهل لها أثر في غير العالم أم لا أثر لها فيه؟ وفيه علم ما يعظم عند الإنسان الكامل وماثم أعظم منه ولماذا يرجع ما يعظم عنده حتى يؤثر فيه حالة لا يقتضيها مقامه الذي هو فيه، وهل حصل له ذلك العلم عن مشاهدة أو فكر؟ وفيه علم هل يصح من الوكيل المفوّض إليه المطلق الوكالة أن يتصرف في مال موكله تصرف رب المال من جميع الوجوه أو له حدّ يقف عنده في حكم الشرع؟

وفيه علم حكمة طلب الأولياء الستر على مقامهم بخلاف الأنبياء عليهم صلوات الله. وفيه علم السياسة في التعليم حتى يوصل المعلم العلم إلى المتعلم من حيث لا يشعر المتعلم أن المعلم قصد إفادته بما حصل عنده من العلم فيقول له المتعلم: يا أستاذ لقد حصل لي من فعلك كذا وكذا مع كذا وكذا علم وافر صحيح وهو كذا، ويتخيل المتعلم أن الذي حصل له من العلم بذلك الأمر لم يكن مقصوداً للمعلم وهو مقصود في نفس الأمر للمعلم فيفرح المتعلم بما أعطاه الله من النباهة والتفطن حيث علم من حركة استاذه علماً لم يكن عنده في زعمه أن أستاذه قصد تعليمه. وفيه علم من علوم الكشف وهو أن يعلم صاحب الكشف أن أي واحد أو جماعة قلت أو كثرت لا بد أن يكون معهم من رجال الغيب واحد عندما يتحدثون، فذلك الواحد ينقل أخبارهم في العالم ويجد ذلك الناس من نفوسهم في العالم يجتمع جماعة في خلوة أو يحدث الرجل نفسه بحديث لا يعلم به إلا الله فيخرج أو تخرج تلك الجماعة فتسمعه في الناس والناس يتحدثون به، ولقد عملت أبياتاً من الشعر بمقصورة ابن مثنى بشرقي جامع تونس من بلاد إفريقية عند صلاة العصر في يوم معلوم معين بالتاريخ عندي بمدينة تونس فجئت إشبيلية وبينهما مسيرة ثلاثة أشهر للقافلة فاجتمع بي إنسان لا يعرفني فأنشدني بحكم الاتفاق تلك الأبيات عينها ولم أكن كتبتها لأحد فقلت له: لمن هي هذه الأبيات؟ فقال لي: لمحمد بن العربي وسماني، فقلت له: ومتى حفظتها؟ فذكر لي التاريخ الذي عملتها فيه والزمان مع طول هذه المسافة فقلت له: ومن أنشدك إياها حتى حفظتها؟ فقال لي: كنت جالساً في ليلة بشرق إشبيلية في مجلس جماعة على الطريق ومر بنا رجل غريب لا

الفصل الخامس

سلمان المحمدي



في معرفة سرّ سلمان الذي ألحقه بأهل البيت والأقطاب الذين ورثه منهم ومعرفة أسرارهم

العبد مرتبط بالرب ليس له ... عنه انفصال يرى فعلاً وتقديرا

والابن أنزل منه في العلى درجاً ... قد حرّر الشرع فيه العلم تحريرا

فالابن ينظر في أموال والده ... إذ كان وارثه شحاً وتقتيرا

والابن يطمع في تحصيل رتبته ... وإن يراه مع الأموات مقبورا

والعبد قيمته من مال سيده ... إليه يرجع مختاراً ومجبورا

والعبد مقداره في جاه سيده ... فلا يزال بستر العزّ مستورا

الذلّ يصحبه في نفسه أبدا ... فلا يزال مع الأنفاس مقهورا

والابن في نفسه من أجل والده ... عزّ فيطلب توقيراً وتعزيرا

اعلم أيّدك الله أنا روينا من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن ا الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَوْلَى القَوْمِ مِنْهُمْ» وخرّج الترمذيّ رسول الله ﷺ أنه قال: «أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ» وقال تعالىٰ في حق المختصين من عباده: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] فكل عبد إلهيّ توجه لأحد عليه حق من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله بقدر ذ الحق فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقّه وله عليه سلطان به، فلا يكون عبداً محضاً خالصاً لله، وهذا هو الذي رجح المنقطعين إلى الله انقطاعهم عن الخلق ولزومهم السياحات والبراري والسواحل والفرار من الناس والخروج عن م الحيوان فإنهم يريدون الحرية من جميع الأكوان، ولقيت منهم جماعة كبيرة في أيام سياحتي، ومن الزمان الذي حصل فيه هذا المقام ما ملكت حيواناً أصلاً بل ولا الثوب الذي ألبسه فإني لا ألبسه إلاّ عارية لشخص معين أذن لي في التص فيه، والزمان الذي أتملك الشيء فيه أخرج عنه في ذلك الوقت إما بالهبة أو بالعتق إن كان ممن يعتق، وهذا حصل لي أردت التحقّق بعبودية الاختصاص لله قيل لي: لا يصحّ لك ذلك حتى لا يقوم لأحد عليك حجة، قلت: ولا ش شاء الله، قيل لي: وكيف يصحّ لك أن لا يقوم لله عليك حجة؟ قلت: إنما تقام الحجج على المنكرين لا على المعترف وعلى أهل الدعاوى وأصحاب الحظوظ لا على من قال ما لي حق ولا حظ، ولما كان رسول الله ﷺ عبداً محض طهّره الله وأهل بيته تطهيراً وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم فإن الرجس هو القذر عند العرب هكذا حكى الف قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فلا يضاف إليهم إلاّ ولا بدّ فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم، فما يضيفون لأنفسهم إلاّ من له حكم الطهارة والتقديس، فهذه شهاد النبي ﷺ لسلمان الفارسيّ بالطهارة والحفظ الإلهيّ والعصمة حيث قال فيه رسول الله ﷺ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْ وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم.

وإذا كان لا ينضاف إليهم إلاّ مطهر مقدس وحصلت له العناية الإلهيّة بمجرد الإضافة فما ظنك بأهل البيـ

نفوسهم فهم المطهرون بل هم عين الطهارة، فهذه تدل على أن الله قد شرك أهل البيت مع رسول الله ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] وأي وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوسخ؟ فطهّر الله سبحانه نبيه ﷺ بالمغفرة فما هو ذنب بالنسبة إلينا لو وقع منه ﷺ لكان ذنباً في الصورة لا في المعنى، لأن الذم لا يلحق به على ذلك من الله ولا منا شرعاً، فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبه ما يصحب الذنب من المذمة ولم يصدق قوله: ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلهم ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران، فهم المطهرون اختصاصاً من الله وعناية بهم لشرف محمد ﷺ وعناية الله به، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلاّ في الدار الآخرة فإنهم يحشرون مغفوراً لهم. وأما في الدنيا فمن أتى منهم حدّاً أقيم عليه كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى أو سرق أو شرب أقيم عليه الحدّ مع تحقق المغفرة كماعز وأمثاله ولا يجوز ذمّه، وينبغي لكل مسلم مؤمن بالله بما أنزله أن يصدق الله تعالىٰ في قوله: ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت أن الله قد عفا عنهم فيه، فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمّة بهم ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله بتطهيره وذهاب الرجس عنه لا بعمل عملوه ولا بخير قدموه بل سابق عناية من الله بهم ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].

وإذا صحّ الخبر الوارد في سلمان الفارسي فله هذه الدرجة فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع وتلحق المذمّة بعامله لكان مضافاً إلى أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم وهم المطهرون بالنص فسلمان منهم بلا شك، فأرجو أن يكون عقب علي وسلمان تلحقهم هذه العناية كما لحقت أولاد الحسن والحسين وعقبهم وموالي أهل البيت فإن رحمة الله واسعة يا ولي. وإذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم وشرفهم ليس لأنفسهم وإنما الله تعالىٰ هو الذي اجتباهم وكساهم حلة الشرف، كيف يا وليّ بمن أضيف إلى من له الحمد والمجد والشرف لنفسه وذاته فهو المجيد سبحانه وتعالىٰ، فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة، قال تعالىٰ لإبليس: ﴿ إِنَّ عِبَادِى ﴾ [الحجر: ٤٢] فأضافهم إليه: ﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] وما تجد في القرآن عباداً مضافين إليه سبحانه إلاّ السعداء خاصة، وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد فما ظنّك بالمعصومين المحفوظين منهم القائمين بحدود سيدهم الواقفين عند مراسمه فشرفهم أعلى وأتمّ، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام، ومن هؤلاء الأقطاب ورث سلمان شرف مقام أهل البيت، فكان رضي الله عنه من أعلم الناس بما لله على عباده من الحقوق وما لأنفسهم والخلق عليهم من الحقوق وأقواهم على أدائها، وفيه قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ بِالثُّرَيَا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ» وأشار إلى سلمان الفارسي وفي تخصيص النبيّ ﷺ ذكر الثريا دون غيرها من الكواكب إشارة بديعة لمثبتي الصفات السبع لأنها سبعة كواكب فافهم، فسرّ سلمان الذي ألحقه بأهل البيت ما أعطاه النبي ﷺ من أداء كتابته وفي هذا فقه عجيب فهو عتيقه ﷺ ومولى القوم منهم والكل موالي الحق ورحمته وسعت كل شيء وكل شيء عبده ومولاه.

وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله وأنه لا ينبغي لمسلم أن يذمّهم بما يقع منهم أصلاً فإنّ الله طهّرهم، فليعلم الذامّ لهم أنّ ذلك راجع إليه ولو ظلموه فذلك الظلم هو في زعمه ظلم لا في نفس الأمر وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه، بل حكم ظلمهم إيانا في نفس الأمر يشبه جري المقادير علينا في ماله ونفسه بغرق أو بحرق وغير ذلك من الأمور المهلكة فيحترق أو يموت له أحد أحبائه أو يصاب في نفسه وهذا كله مما لا يوافق غرضه، ولا يجوز له أن يذمّ قدر الله ولا قضاءه، بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم والرضى، وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر، فإن في طيّ ذلك نعماً من الله لهذا المصاب وليس وراء ما ذكرناه خير، فإنه ما وراءه ليس إلاّ الضجر والسخط

وعدم الرضى وسوء الأدب مع الله، فكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت في ماله ونفسه وعرضه وأهله وذويه، فيقابل ذلك كله بالرضى والتسليم والصبر، ولا يلحق المذمّة بهم أصلاً، وإن توجهت عليهم الأحكام المقرّرة شرعاً فذلك لا يقدح في هذا بل يجريه مجرى المقادير، وإنما منعنا تعليق الذمّ بهم إذ ميّزهم الله عنّا بما ليس لنا معهم فيه قدم.

وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله ﷺ كان يقترض من اليهود، وإذا طالبوه بحقوقهم أدّاها على أحسن ما يمكن، وإن تطاول اليهوديّ عليه بالقول يقول: دعوه إن لصاحب الحق مقالاً. وقال ﷺ في قصة: «لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ قَطَعْتُ يَدَهَا» فوضع الأحكام لله يضعها كيف يشاء وعلى أيّ حال يشاء، فهذه حقوق الله، ومع هذا لم يذمّهم الله وإنما كلامنا في حقوقنا وما لنا أن نطالبهم به فنحن مخيّرون إن شئنا أخذنا وإن شئنا تركنا والترك أفضل عموماً فكيف في أهل البيت؟ وليس لنا ذمّ أحد فكيف بأهل البيت؟ فإنا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم في ذلك أي فيما أصابوه منّا كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى والمكانة الزلفى، فإنّ النبي ﷺ ما طلب منّا عن أمر الله ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] وفيه سر صلة الأرحام، ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأله فيه مما هو قادر عليه بأيّ وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته وهو ما أسعف نبيه ﷺ فيما طلب منه من المودّة في قرابته فكيف بأهل بيته فهم أخص القرابة؟ ثم إنه جاء بلفظ المودّة وهو الثبوت على المحبة، فإنه من ثبت ودّه في أمر استصحبه في كل حال، وإذا استصحبته المودّة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقّه مما له أن يطالبهم به فيتركه ترك محبة وإيثاراً لنفسه لا عليها، قال المحب الصادق: وكل ما يفعل المحبوب محبوب وجاء باسم الحب فكيف حال المودّة، ومن البشرى ورود اسم الودود لله تعالىٰ، ولا معنى لثبوتها إلاّ حصول أثرها بالفعل في الدار الآخرة وفي النار لكل طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم، وقال الآخر في المعنى:

أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها سود الكلاب

ولنا في هذا المعنى:

أحب لحبك الحبشان طرا ... وأعشق لاسمك البدر المنيرا

قيل: كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحبّب إليها، فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده محبته عند الله و تورثه القربة من الله، فهل هذا إلاّ من صدق الحب وثبوت الودّ في النفس، فلو صحّت محبتك لله ولرسوله أحببت أهل بيت رسول الله ﷺ ورأيت كل ما يصدر منهم في حقّك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك أنه جمال تتنعم بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله الذي أحببتهم من أجله حيث ذكرك من يحبه وخطرت على باله وهم أهل بيت رسوله ﷺ، فتشكر الله تعالىٰ على هذه النعمة فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة بتطهير الله طهارة لم يبلغها علمك، وإذا رأيتك على ضدّ هذه الحالة مع أهل البيت الذي أنت محتاج إليهم ولرسول الله ﷺ حيث هداك الله به فكيف أثق أنا بودّك الذي تزعم به أنك شديد الحب في والرعاية لحقوقي أو لجانبي وأنت في حق أهل نبيك بهذه المثابة من الوقوع فيهم، والله ما ذاك إلاّ من نقص إيمانك ومن مكر الله بك واستدراجه إياك من حيث لا تعلم، وصورة المكر أن تقول وتعتقد أنك في ذلك تذب عن دين الله وشرعه، وتقول في طلب حقّك إنك ما طلبت إلاّ ما أباح الله لك طلبه ويندرج الذمّ في ذلك الطلب المشروع والبغض والمقت وإيثارك نفسك على أهل البيت وأنت لا تشعر بذلك، والدواء الشافي من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقاً وتنزل عن حقك لئلا يندرج في طلبه ما ذكرته لك وما أنت من حكام المسلمين حتى يتعين عليك إقامة حد أو إنصاف مظلوم أو ردّ حق إلى أهله، فإن كنت حاكماً ولا بدّ فاسع في استنزال صاحب الحق عن حقّه إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت، فإن أبى حينئذ يتعين عليك إمضاء حكم الشرع فيه، فلو كشف الله لك يا وليّ عن منازل

عند الله في الآخرة لوددت أن تكون مولى من مواليهم فالله يلهمنا رشد أنفسنا، فانظر ما أشرف منزلة سلمان رضي الله عن جميعهم.

ولما بيّنت لك أقطاب هذا المقام وأنهم عبيد الله المصطفون الأخيار، فاعلم أن أسرارهم التي أطلعنا الله عليها تجهلها العامة بل أكثر الخاصة التي ليس لها هذا المقام والخضر منهم رضي الله عنه وهو من أكبرهم، وقد شهد الله له أنه آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً اتبعه فيه كليم الله موسىٰ عليه السلام الذي قال فيه ﷺ: «لَوْ كَانَ مُوسَىٰ حيًّا مَا وَسِعَهُ إلاَّ أَنْ يَتْبَعَنِي» فمن أسرارهم ما قد ذكرناه من العلم بمنزلة أهل البيت، وما قد نبّه الله على علوّ رتبتهم في ذلك، ومن أسرارهم علم المكر الذي مكر الله بعباده في بغضهم مع دعواهم حبّ رسول الله ﷺ وسؤاله المودّة في القربى وهو ﷺ من جملة أهل البيت، فما فعل أكثر الناس ما سألهم فيه رسول الله ﷺ عن أمر الله فعصوا الله ورسوله وما أحبّوا من قرابته إلاَّ من رأوا منه الإحسان، فأغراضهم أحبّوا وبنفوسهم تعشقوا ومن أسرارهم الإطلاع على صحة ما شرع الله لهم في هذه الشريعة المحمدية من حيث لا تعلم العلماء بها، فإن الفقهاء والمحدّثين الذين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت إنما المتأخر منهم هو فيه على غلبة ظن إذ كان النقل شهادة والتواتر عزيز، ثم إنهم إذا عثروا على أمور تفيد العلم بطريق التواتر لم يكن ذلك اللفظ المنقول بالتواتر نصاً فيما حكموا به فإن النصوص عزيزة فيأخذون من ذلك اللفظ بقدر قوّة فهمهم فيه ولهذا اختلفوا، وقد يمكن أن يكون لذلك اللفظ في ذلك الأمر نصّ آخر يعارضه ولم يصل إليهم وما لم يصل إليهم ما تعبدوا به ولا يعرفون بأيّ وجه من وجوه الاحتمالات التي في قوّة هذا اللفظ كان يحكم رسول الله ﷺ المشرّع فأخذه أهل الله عن رسول الله ﷺ في الكشف على الأمر الجلي والنص الصريح في الحكم، أو عن الله بالبينة التي هم عليها من ربّهم والبصيرة التي بها دعوا الخلق إلى الله عليها كما قال الله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [هود: ١٧] وقال: ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨] فلم يفرد نفسه بالبصيرة وشهد لهم بالاتباع في الحكم فلا يتبعونه إلاَّ على بصيرة وهم عباد الله أهل هذا المقام.

ومن أسرارهم أيضاً إصابة أهل العقائد فيما اعتقدوه في الجناب الإلهيّ وما تجلّى لهم حتى اعتقدوا ذلك، ومن أين تصوّر الخلاف مع الاتفاق على السبب الموجب الذي استندوا إليه فإنه ما اختلف فيه اثنان، وإنما وقع الخلاف فيما هو ذلك السبب وبماذا يسمّى ذلك السبب، فمن قائل: هو الطبيعة، ومن قائل: هو الدهر، ومن قائل: غير ذلك، فاتفق الكلّ في إثباته ووجوب وجوده، وهل هذا الخلاف يضرّهم مع هذا الاستناد أم لا؟ هذا كله من علوم أهل هذا المقام. انتهى الجزء السابع عشر.

الخاتمة

وصايا حكمية



في وصية حكمية ينتفع بها المريد السالك والواصل ومن وقف عليها إن شاء الله تعالىٰ

وصى الإله وأوصت رسله فلذا ... كان التأسي بهم من أفضل العمل
لولا الوصية كان الخلق في عمه ... وبالوصية دار الملك في الدول
فاعمل عليها ولا تهمل طريقتها ... إن الوصية حكم الله في الأزل
ذكرت قوماً بما أوصى الإله به ... وليس إحداث أمر في الوصية لي
فلم يكن غير ما قالوه أو شرعوا ... من السلوك بهم في أقوم السبل
فهدى أحمد عين الدين أجمعه ... وملة المصطفى من أنور الملل
لم تطمس العين بل أعطته قوّتها ... حتى يقيم الذي فيه من الميل
وخذ بسرك عنه من مراكزه ... علواً إلى القمر العالي إلى زحل
إلى الثوابت لا تنزل بساحتها ... وانهض إلى الدرج العالي من الحمل
ومنه للقدم الكرسي ثم إلى ... العرش المحيط إلى الأشكال والمثل
إلى الطبيعة للنفس النزيهة للـ ... ـعقل المقيد بالأعراض والعلل
إلى العماء الذي ما فوقه نفس ... منه إلى المنزل المنعوت بالأزل
وانظر إلى الجبل الراسي على الجبل ... وقد رآه فلم يبرح ولم يزل
لولا العلو الذي في السفل ما سفلت ... وجوهنا تطلب المرى بالمقل
لذلكم شرع الله السجود لنا ... فنشهد الحق في علو وفي سفل
هذي وصيتنا إن كنت ذا نظر ... فإنها حيلة من أحسن الحيل
ترى بها كل معلوم بصورته ... على حقيقة ما هو لا على البدل
حتى ترى المنظر الأعلى وليس له ... سواك مجلى فلا تبرح ولا تزل
فإن دعاك إلى عين شربها ... فلا تجبه وكن منه على وجل
إنا أناث لما فينا يولده ... فلنحمد الله ما في الكون من رجل
إن الرجال الذين العرف عينهم ... هم الإناث وهم نفسي وهم أملي

فمن ذلك وصية قال الله تعالىٰ في الوصية العامة: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورىٰ: ١٣] فأمر الحق بإقامة الدين وهو شرع الوقت في كل زمان وملة، و عليه ولا يتفرق فيه، فإن يد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب القاصية وهي البعيدة التي شردت وانفردت عمّا هي الجم وحكمة ذلك أن الله لا يعقل إلهاً إلاّ من حيث أسماؤه الحسنى لا من حيث هو معرّى عن هذه الأسماء الحسنى، فلا بدّ عينه وكثرة أسمائه وبالمجموع هو الإله فيد الله وهي القوّة مع الجماعة.

وصية: إذا رأيت عالماً لم يستعمله علمه فاستعمل أنت علمك في أدبك معه حتى توفي العالم حقّه من حيث ما هو عالم، ولا تحجب عن ذلك بحاله السيء فإن له عند الله درجة علمه، فإن الإنسان يحشر يوم القيامة مع من أحب، ومن تأدّب مع صفة إلهية كسبها يوم القيامة وحشر فيها، وعليك بالقيام بكل ما تعلم أن الله يحبه منك فتبادر إليه فإنك إذا تحليت به على طريق التحبّب إليه تعالىٰ أحبك، وإذا أحبك أسعدك بالعلم به وبتجليه وبدار كرامته فينعمك في بلائك، والذي يحبه تعالىٰ أمور كثيرة، أذكر منها ما تيسّر على جهة الوصية والنصيحة، فمن ذلك التجمل لله فإنه عبادة مستقلة ولا سيما في عبادة الصلاة فإنك مأمور به قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف: ٣١] وقال في معرض الإنكار: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ ﴾ [الأعراف: ٣٢] وأكثر من هذا البيان في مثل هذا في القرآن فلا يكون، ولا فرق بين زينة الله وزينة الحياة الدنيا إلاّ بالقصد والنية، وإنما عين الزينة هي هي ما هي أمر آخر، فالنية روح الأمور، وإنما لامرىء ما نوى، فالهجرة من حيث ما كانت هجرة واحدة العين: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُه إِلَى ما هَاجَرَ إِلَيْهِ» وكذلك ورد في الصحيح في بيعة الإمام في الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. وفيه ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلاّ لدنيا فإن أعطاه منها وفّى وإن لم يعطه منها لم يف، فالأعمال بالنيات وهي أحد أركان بيت الإسلام. وورد في الصحيح في مسلم: «إِنَّ رَجُلاً قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يا رسول الله إني أحبُّ أن يكون نعلي حسناً وثوبي حسناً فقال له رسول الله ﷺ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ» وقال: «إِنَّ اللهَ أَوْلَى مَنْ يُتَجَمَّلُ لَهُ».

ومن هذا الباب: كون الله تعالىٰ لم يبعث إليه جبريل في أكثر نزوله عليه إلاّ في صورة دحية وكان أجمل أهل زمانه، وبلغ من أثر جماله في الخلق أنه لما قدم المدينة واستقبله الناس ما رأته امرأة حامل إلاّ ألقت ما في بطنها، فكأن الحق يقول يبشر نبيه ﷺ بإنزال جبريل عليه في صورة دحية: يا محمد ما بيني وبينك إلاّ صورة الجمال، يخبره تعالىٰ بما له في نفسه سبحانه بالحال، فمن فاته التجمّل لله كما قلناه فقد فاته من الله هذا الحب الخاص المعين، وإذا فاته هذا الحب الخاص المعين فاته من الله ما ينتجه من علم وتجلّ وكرامة في دار السعادة، ومنزلة في كثيب الرؤية وشهود معنويّ علمي روحي في هذه الدار الدنيا في سلوكه ومشاهده، ولكن كما قلنا ينوي بذلك التجمّل لله لا للزينة والفخر بعرض الدنيا والزهو والعجب والبطر على غيره.

ومن ذلك: الرجوع إلى الله عند الفتنة فإن الله يحب كل مفتن تواب كذا قال رسول الله ﷺ: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ [الملك: ٢] والبلاء والفتنة بمعنى واحد وليس إلاّ الاختبار لما هو الإنسان عليه من الدعوى ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي اختبارك ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي تحيره أي تبين له طريق نجاته فيها.

وأعظم الفتن: النساء والمال والولد والجاه، هذه الأربعة إذا ابتلى الله بها عبداً من عباده أو بواحد منها وقام فيها مقام الحق في نصبها له ورجع إلى الله فيها ولم يقف معها من حيث عينها وأخذها نعمة إلهية أنعم الله عليه بها فردته إليه تعالىٰ وأقامته في مقام

حق الشكر الذي أمر الله نبيه عليه السلام موسىٰ به فقال له: «يَا مُوسَىٰ اشْكُرْنِي حَقَّ الشُّكْرِ، قال موسىٰ: يا ربِّ وما حقُّ الشكر؟ قال له: يا مُوسَىٰ إذا رَأَيْتَ النِّعْمَةَ مِنِّي فذلك حَقُّ الشُّكْرِ» ذكره ابن ماجة في سننه عن رسول الله ﷺ. ولما غفر الله لنبيه محمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبشّره ذلك بقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] قام حتى تورمت قدماه شكراً لله تعالىٰ على ذلك فما فتر ولا جنح إلى الراحة، ولما قيل له في ذلك وسئل في الرفق بنفسه قال ﷺ: «أفلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً» وذلك لما سمع الله يقول: إن الله يحب الشاكرين فإن لم يقم في مقام شكر المنعم فاته من الله هذا الحب الخاص بهذا المقام الذي لا ينال من الله إلاّ الشكور، فإن الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وإذا فاته فاته ماله من العلم بالله والتجلي والنعيم الخاص به في دار الكرامة وكثيب الرؤية يوم الزور الأعظم، فإنه لكل حب إلهيّ من صفة خاصة علم وتجلٌّ ونعيم ومنزلة لا بدّ من ذلك يمتاز بها صاحب تلك الصفة من غيره.

فأما فتنة النساء: فصورة رجوعه إلى الله في محبتهنّ بأن يرى أن الكل أحب بعضه وحنّ إليه فما أحبّ سوى نفسه، لأن المرأة في الأصل خلقت من الرجل من ضلعه القصيرى فينزلها من نفسه منزلة الصورة التي خلق الله الإنسان الكامل عليها وهي صورة الحق فجعلها الحق مجلى له، وإذا كان الشيء مجلى للناظر فلا يرى الناظر في تلك الصورة إلاّ نفسه، فإذا رأى في هذه المرأة نفسه اشتدّ حبه فيها وميله إليها لأنها صورته، وقد تبين لك أن صورته صورة الحق التي أوجده عليها فما رأى إلاّ الحق ولكن بشهوة حب والتذاذ وصلة يفنى فيها فناء حق بحب صدق وقابلها بذاته مقابلة المثلية ولذلك فني فيها فما من جزء فيه إلاّ وهو فيها، والمحبة قد سرت في جميع أجزائه فتعلق كله بها فلذلك فني في مثله الفناء الكلي بخلاف حبّه غير مثله فاتحد بمحبوبه إلى أن قال: أنا من أهوى ومن أهوى أنا.

وقال الآخر في هذا المقام: أنا الله فإذا أحببت مثلك شخصاً هذا الحب ردّك إلى الله شهودك فيه هذا الردّ فأنت ممّن أحبه الله وكانت هذه الفتنة فتنة أعطتك المهداة. وأما الطريقة الأخرى في حب النساء فإنهن محال الإنفعال والتكوين لظهور أعيان الأمثال في كل نوع، ولا شك أن الله ما أحب أعيان العالم في حال عدم العالم إلاّ لكون تلك الأعيان محل الانفعال، فلما توجه عليها من كونه مريداً قال لها ﴿كُن﴾ [النحل: ٤٠] فكانت فظهر ملكه بها في الوجود، وأعطت تلك الأعيان لله حقه في ألوهته فكان إلهاً فعبدته تعالىٰ بجميع الأسماء بالحال، سواء علمت تلك الأسماء أو لم تعلمها، فما بقي اسم لله إلاّ والعبد قد قام فيه بصورته وحاله وإن لم يعلم نتيجة ذلك الاسم وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ في دعائه بأسماء الله: «أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ غَيْبِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ» يعني من أسمائه أن يعرف عينه حتى يفصله من غيره علماً فإن كثيراً من الأمور في الإنسان بالصورة والحال ولا يعلم به ويعلم الله منه أن ذلك فيه، فإذا أحبّ المرأة لما ذكرناه فقد ردّه حبها إلى الله تعالىٰ فكانت نعمة الفتنة في حقّه فأحبه الله برجعته إليه تعالىٰ في حبّه إياها.

وأما تعلقه بامرأة خاصة في ذلك دون غيرها وإن كانت هذه الحقائق التي ذكرناها سارية في كل امرأة فذلك لمناسبة روحانية بين هذين الشخصين في أصل النشأة والمزاج الطبيعي والنظر الروحي، فمنه ما يجري إلى أجل مسمّى ومنه ما يجري إلى غير أجل بل أجله الموت، والتعلق لا يزول كحب النبيّ ﷺ عائشة فإنه كان يحبها أكثر من حبه جميع نسائه، وحبه أبا بكر أيضاً وهو أبوها فهذه المناسبات الثواني هي التي تعين الأشخاص، والسبب الأوّل هو ما ذكرناه، ولذلك الحب المطلق والسماع المطلق والرؤية المطلقة التي يكون عليها بعض عباد الله ما تختص بشخص في العالم دون شخص، فكل حاضر عنده له محبوب وبه مشغول، ومع هذا لا بد من ميل خاص لبعض الأشخاص لمناسبة خاصة مع هذا الإطلاق لا بدّ من ذلك، فإن نشأة العالم تعطى في آحاده هذا لا بد من تقييد، والكامل من يجمع بين التقييد والإطلاق، فالإطلاق مثل قول النبي ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلاثٌ: النِّسَاءُ» وما خصّ امرأة من امرأة. ومثل التقييد ما روي من حبه عائشة أكثر من سائر نسائه لنسبة إلهية روحانية قيدته بها دون غيرها مع كونه يحب النساء، فهذا قد ذكرنا من الركن الواحد ما فيه كفاية لمن فهم.

وأما الركن الثاني: من بيت الفتن وهو الجاه المعبر عنه بالرياسة، يقول فيه: الطائفة التي لا علم لها منهم آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة، فالعارفون من أصحاب هذا القول ما يقولون ذلك على ما تفهمه العامة من أهل الطريق منهم، وإنه

شرطاً معيناً سوى الإسلام، فإن اشترط ولا بدّ فليشترط من يتظاهر بالخير في أغلب أحواله، وكذلك إن كان لك علم نافع في الدين فبثه في الناس لينتفع به كل سامع إلى يوم القيامة.

يا أخي إذا كان في يدك سيف مصلت فأراد أحد أن يتناوله منك فلا تناوله إياه حتى تغمده، الله الله إذا رأيت أحداً على عمل يكرهه الشرع من المسلمين فاكره عمله ولا تكره المسلم الذي هو العامل وإن كنت صادقاً في كراهيتك عمله فلا تعمل بمثله فإن عملت بمثله وكرهته من غيرك فأنت مراء بما ظهرت به من الكراهة لذلك، وهنا سرّ خفيّ ومكر دقيق يؤديّ إلى ترك تغيّر المنكر، وإذا كنت في سفر وأردت التعريس بالليل فاجتنب الطريق فإن الهوام بالليل تقصد الطريق فربما يؤذيك شيء منها، وقل إذا نزلت منزلاً: أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شرّ ما خلق فإنه لن يضرّك شيء ما دمت في ذلك المنزل، أخبرني صاحبي عبد الله بدر الحبشي الخادم عن الشيخ ربيع بن محمود الحطاب المارديني قال: بتنا ليلة برأس العين في مسجد وبرأس العين عقارب تسمّى الجرارات لا ترفع أذنابها إلاّ عند الضرب وهي قتالة ما ضربت أحداً فعاش فجاء شخص فبات في المسجد وذكر هذه الاستعاذة فضربته العقرب في تلك الليلة فقال للشيخ ربيع حديثه فقال له صحّ الحديث فإن الله قد رفع عنك الموت فإنها ما ضربت أحداً إلاّ مات، وقد رأيت أنا مثل هذا من نفسي لدغتني العقرب مرّة بعد مرّة في وقت واحد فما وجدت لها ألماً، وكنت قد ذكرت هذه الاستعاذة إلاّ أنه كان في حرامي بندقتان وكنت قد سمعت أن البندق بالخاصية يدفع ألم الملسوع فلا أدري هل كان ذلك للبندق أو للدعاء أو لهما معاً إلاّ أنه تورم رحلي وحصل فيه خدر وبقي الورم ثلاثة أيام ولا أجد ألماً البتة، وعليك بالتسمية في كل حال تشرع فيه من أكل وشرب ودخول وخروج وحلّ وترحال وحركة وسكون، وإذا دخلت بيت الله فابدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت فأخرج رجلك اليمنى، وإذا انتقلت فابدأ باليمنى، وإذا خلعت فابدأ باليسرى.

وصية: لا تسارر صاحبك بشيء ومعكما ثالث دونه فإن ذلك يوحشه بلا شك، ومقصود الحق من عباده تألف القلوب والمحبة والتودّد، وأن الله قد جعل الألفة من منة الله على نبيه ﷺ فقال: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣] وكذلك لا تتكلم معه بلسان لا يعرفه الثالث فإنه لا فرق بينه وبين المساررة، والتزم الصدق في حديثك أبداً وفي أفعالك تكن أصدق الناس رأياً، وإذا سمعت صياح الديكة فسل الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعت نهيق الحمار فتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم فإن الحمار لا ينهق إلاّ إذا رأى شيطاناً، والديك لا يصيح إلاّ إذا رأى ملكاً، وقد روينا أن لله ديكاً في السماء إذا صاح وسمعته الديوك في الأرض صاحت لصياحه، كن في كل حال ذاتية حميدة مع الله يرضاها الله منك وعلى عمل صالح ولا سيما إذا كثر الفساد في العامّة فما تدري لعل الله يرسل عليهم عذاباً يعمّ الصالح والطالح فتكون ممّن يحشر على عمل خير كما قبضت عليه يقول الله: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

ولا تشمت عاطساً لم يحمد الله ولكن ذكره أن يحمد الله ثم شمته، وإياك إذا غلبك التثاوب أن تصوّت فيه واكظمه ما استطعت، وإياك أن تمدح أحداً في وجهه فتخجله وإذا مدحك أحد في وجهك فاحث التراب في وجهه برفق وصورة حثو التراب أن تأخذ كفاً من تراب وترمي به بين يديه وتقول له: ما عسى أن يكون من خلق من تراب ومن أنا وما قدري توبخ بذلك نفسك وتعرف المادح بقدرك وقدره هكذا فلتحث التراب في وجوه المداحين، وقد كان شيخنا عبد الحليم الغماد بمدينة سلا إذا رأى شخصاً راكباً ذا إشارة يعظمه الناس وينظرون إليه يقول له ولهم: تراب راكب على تراب ثم ينصرف وينشد:

حتى متى وإلى متى تتوانى ... أتظن ذلك كله نسيانا

وكان الغالب عليه التولّه، وإذا كان لك ولد صغير وجاءت فحمة العشاء فأمسكه عن التصرّف فإن الشياطين تنتشر حينئذ فلا تأمن عليه أن يصيبه لمم فإن الشارع أمر بذلك، وإذا صنع لك خادمك طعاماً وأتاك به فأجلسه معك فإن أبى وتأدّب فأذقه منه ولا بدّ ولو لقمة، وإياك أن تأكل وعين تنظر إليك من غير أن يأكل معك، وإذا سمعت أحداً يوم الجمعة يتكلم والإمام يخطب فلا تقل له انصت فإن قلت له ذلك فأنت ممّن لغا في جمعته، ولا تعبث بشيء لا بالحصى ولا بغيره والإمام يخطب فإنه لغو، وإذا كنت صائماً وأفطرت فافطر على تمر إن وجدت فإن لم تجد فعلى حسوات من ماء وليكن ذلك وتراً وعجل بالفطر ثم صلّ بعد ذلك إلاّ إن حضر الطعام فإن حضر الطعام فابدأ به قبل الصلاة كنت آكلاً ولا بدّ، وإذا حدثك إنسان وتراه يلتفت فحديثه إياك أمانة أودعك إياها فلا تخنه فيه بالإفشاء، وراقب قلبك في الناس فمهما خطر لك تغير في أحد من المؤمنين في قلبك فأزله وظن

خيراً وأقم له عذراً فيما تغيرت له وإن حالت بينك وبين الماشي معك شجرة أو جدار ثم تلاقيتما فسلم عليه حتى يعلم أنك على الو الذي فارقته عليه .

وصية : عامل كل من تصحبه أو يصحبك بما تعطيه رتبته ، فعامل الله بالوفا لما عاهدته عليه من الإقرار بربوبيته عليك وهو الصاحب يقول رسول الله ﷺ، وعامل الآيات بالنظر فيها ، وعامل ما تدركه الحواس منك بالاعتبار ، وعامل الرسل بالاقتداء بهم . وعامل الملائكة بالطهارة والذكر ، وعامل الشيطان إذا عرفت أنه شيطان من إنس وجان بالمخالفة ، وعامل الحفظة بحسن ما تملي عليهم ، وعامل من هو أكبر منك بالتوقير ومن هو أصغر منك بالرحمة ومن هو كفؤك بالتجاوز والإنصاف والإيثار وأن تطالب نفسك بحقه عليها وترك حقك له ، وعامل العلماء بالتعظيم ، وعامل السفهاء بالحلم ، وعامل الجهال بالسياسة ، وعامل الأشرار ببسط الوجه وما تتقي به شرهم ، وعامل الحيوان بالنظر فيما يحتاجون إليه فإنهم خرس ، وعامل الأشجار والأحجار بعدم الفضول ، وعامل الأرض بالصلاة عليها ، وعامل الموتى بالدعاء لهم وذكر محاسنهم والكف عن مساويهم ، وعامل الصوفية أهل الكشف والوجود منهم بالتسليم أصحاب الأحوال ، وعامل الإخوان في الله بالبحث عن حركاتهم وسكناتهم فيما ذا يتحركون ويسكنون ، وعامل الأولاد بالإحسان ، وعامل الزوجة بحسن الخلق ، وعامل أهل البيت بالمودّة ، وعامل الصلاة بالحضور ، وعامل الصوم بالتنزه عن الذنوب ، وعامل المناسك بذكر الله والتعظيم ، وعامل الزكاة بسرعة الأداء ، وعامل التوحيد بالإخلاص ، وعامل الأسماء الإلهية بما تعطيه حقيقة كل اسم إلهيّ من الأخلاق فمعاملة الأسماء الإلهية بالتخلق بها ، وعامل الدنيا بالرغبة عنها ، وعامل الآخرة بالرغبة فيها ، وعامل النساء بالحذر من فتنتهن ، وعامل المال بالبذل ، وعامل النار والحدود بالتقوى والرهبة ، وعامل الجنة بالرغبة ، وعامل الأولياء بما تزيد ولايتهم ، وعامل الأعداء بما تكف أذاهم ، وعامل الناصح بالقبول ، وعامل المحدث بالإصغاء إلى حديثه ، وعامل الموجودات كلها بالنصيحة ، وعامل الملوك بالسمع والطاعة والأخذ على أيدي الظلمة منهم ما استطعت بطريقة تكتفي بها شرّهم ، وإياك وصحبة الملوك فإنك إن أكثرت مخالطة الملك ملك وإن تركته أذلك ، فخذ واعط إن بليت بصحبتهم ، وعامل قارىء القرآن بالإنصات ما دام تالياً ، وعامل القرآن بالتدبر ، وعامل الحديث النبوي بالبحث عن صحيحه وسقيمه وعرضه على الأصول فما وافق الأصول فخذ به وإن لم يصحّ الطريق إليه فإن الأصل يعضضه وإذا ناقض الأصول بالكلية فلا تأخذ به وإن صحّ طريقه ما لم تعلم له وجهاً فإن أخبار الآحاد لا تفيد سوى غلبة الظن ، وعليك بالسنّة المتواترة وكتاب الله فهما خير مصحوب وخير جليس وإياك والخوض فيما شجر بين الصحابة ولتحبهم كلهم عن آخرهم ولا سبيل إلى تجريح واحد منهم فعنهم نأخذ الدين الذي نعبد الله به وعاملهم بالعدالة في الأخذ عنهم ولا تتهمهم فهم خير القرون .

وعامل بيتك بالصلاة فيه ، وعامل مجلسك بذكر الله فيه ، وعامل فرقتك من مجلسك بالاستغفار والضابط للصحبة أن تعطي كل ذي حق حقه ولا تترك مطالبة لأحد عليك بحق يتوجه له قبلك ، وعامل الجاني عليك بالصفح والعفو ، وعامل المسيء بالإحسان ، وعامل بصرك بالغض عن محارم الله وسمعك بالاستماع إلى أحسن الحديث والقول ولسانك بالصمت عن السوء من القول وإن كان حقاً لكن كره الشرع أو حرم النطق به ، وعامل الذنوب بالخوف ، وعامل الحسنات بالرجاء ، وعامل الدعاء بالاضطرار ، وعامل نداء الحق إياك بالتلبية لما ناداك إليه من عمل أو ترك .

وصايا نبوية : روينا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : وصاني رسول الله ﷺ فقال : يا علي أوصيتك بوصية فاحفظها فإنك لا تزال بخير ما حفظت وصيتي . يا علي : إن للمؤمن ثلاث علامات : الصلاة والصيام والزكاة ، وللمتكلف ثلاث علامات يتملق إذا شهد ويغتاب إذا غاب ويشمت بالمصيبة ، وللظالم ثلاث علامات يقهر من دونه بالغلبة ومن فوقه بالمعصية ويظاهر الظلمة وللمرائي ثلاث علامات ينشط إذا كان عند الناس ويتكاسل إذا كان وحده ويحب أن يحمد في جميع الأمور ، وللمنافق ثلاث علامات : إن حدث كذب وإن وعد أخلف وإن ائتمن خان . يا علي : وللكسلان ثلاث علامات يتوانى حتى يفرط ويفرط حتى يضيع ويضيع حتى يأثم ، وليس ينبغي للعاقل أن يكون شاخصاً إلاّ في ثلاث : مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم أو خطوة لمعاد . يا علي : إن من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله ولا تحمدن أحداً على ما أتاك الله ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتكه الله ، فإن الرزق لا يجره حرص حريص ولا يصرفه كراهية كاره ، وأن الله سبحانه وتعالىٰ جعل الروح والفرج في اليقين والرضى بقسم الله ، وجعل الهم والحزن في السخط بقسم الله . يا علي : لا فقر أشدّ من الجهل ، ولا مال أجود من العقل ، ولا

وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا إيمان كاليقين، ولا ورع كالكف، ولا حسن كحسن الخلق، ولا عبادة كالتفكر.

يا علي إن لكل شيء آفة، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الريا، وآفة الظرف الصلف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفخر، وآفة الحياء الضعف، وآفة الكرم الفخر، وآفة الفضل البخل، وآفة الجود السرف، وآفة العبادة الكبر، وآفة الدين الهوى. يا علي: إذا أثنى عليك في وجهك فقل: اللهمّ اجعلني خيراً ممّا يقولون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني فيما يقولون تسلم ممّا يقولون. يا علي: إذا أمسيت صائماً فقل عند إفطارك: اللهمّ لك صمت وعلى رزقك أفطرت يكتب لك أجر من صام ذلك اليوم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، واعلم أن لكل صائم دعوة مستجابة فإن كان عند أول لقمة يقول: بسم الله الرحمن الرحيم يا واسع المغفرة اغفر لي فإنه من قالها عند فطره غفر له، واعلم أن الصوم جنة من النار. يا علي: لا تستقبل الشمس والقمر واستدبرهما فإن استقبالهما داء واستدبارهما دواء. يا علي: استكثر من قراءة يس فإن في قراءة يس عشر بركات ما قرأها قط جائع إلاّ شبع، ولا قرأها ظمآن إلاّ روي، ولا عار إلاّ اكتسي، ولا مريض إلاّ بريء، ولا خائف إلاّ أمن، ولا مسجون إلاّ فرج، ولا أعزب إلاّ تزوج، ولا مسافر إلاّ أعين على سفره، ولا قرأها أحد ضلّت له ضالة إلاّ وجدها، ولا قرأها على رأس ميت حضر أجله إلاّ خفف عليه، ومن قرأها صباحاً كان في أمان حتى يمسي، ومن قرأها مساء كان في أمان حتى يصبح.

يا علي: اقرأ حم الدخان في ليلة الجمعة تصبح مغفوراً لك. يا علي: اقرأ آية الكرسي دبر كل صلاة تعط قلوب الشاكرين وثواب الأنبياء وأعمال الأبرار. يا علي: اقرأ سورة الحشر تحشر يوم القيامة آمناً من كل شيء. يا علي: اقرأ تبارك والسجدة ينجياك من أهوال يوم القيامة. يا علي: اقرأ تبارك عند النوم يرجع عنك عذاب القبر ومسائلة منكر ونكير. يا علي: اقرأ قل هو الله أحد على وضوء تنادى يوم القيامة يا مادح الله قم فادخل الجنة. يا علي: اقرأ سورة البقرة فإن قراءتها بركة وتركها حسرة وهي لا تطيقها البطلة يعني السحرة. يا علي: لا تطيل القعود في الشمس فإنها تثير الداء الدفين وتبلي الثياب وتغيّر اللون. يا علي: أمان لك من الحرق أن تقول: سبحانك ربي لا إله إلاّ أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم. يا علي: أمان لك من الوسواس أن تقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥ ـ ٤٦] يا علي: أمان لك من شرّ كل عين أن تقول ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله. يا علي كل الزيت وادهن بالزيت فإنه من أكل الزيت وادهن بالزيت لم يقربه الشيطان أربعين صباحاً.

يا علي: ابدأ بالملح واختم بالملح فإن الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع الحلق ووجع الأضراس ووجع البطن. يا علي: إذا أكلت فقل بسم الله وإذا فرغت فقل الحمد لله فإن حافظيك لا يستريحان يكتبان لك الحسنات حتى تنبذه عنك. يا علي: إذا رأيت الهلال في أوّل الشهر فقل الله أكبر ثلاثاً والحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدرك منازل وجعلك آية للعالمين يباهي الله بك الملائكة يقول: يا ملائكتي اشهدوا أني قد أعتقت هذا العبد من النار. يا علي: فإذا نظرت في المرآة فقل: اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وارزقني. يا علي: وإذا رأيت أسداً واشتدّ بك الأمر فكبّر ثلاثاً وقل الله أكبر وأجل وأعزّ ممّا أخاف وأحذر، اللهم إني أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شرّه فإنك تكفى بإذن الله، وإذا رأيت كلباً يهزّ فقل: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] يا علي: إذا خرجت من منزلك تريد حاجة فاقرأ آية الكرسي فإن حاجتك تقضى إن شاء الله. يا علي: وإذا توضأت فقل: بسم الله والصلاة على رسول الله. يا علي: صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة وادع الله سبحانه بالأسحار لا ترد دعوتك فإن الله سبحانه يقول: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

يا علي: غسل الموتى فإنه من غسل ميتاً غفر له سبعون مغفرة لو قسمت مغفرة منها على جميع الخلق لوسعتهم، فقلت: يا رسول الله ما يقول من غسل ميتاً؟ فقال ﷺ يقول: غفرانك يا رحمن حتى يفرغ من الغسل. يا علي: لا تخرج في سفر وحدك فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد. يا علي: إن الرجل إذا سافر وحده غاو والإثنان غاويان والثلاثة نفر. يا علي: إذا سافرت

فلا تنزل الأودية فإنها مأوى السباع والحيات. يا علي: لا تردفن ثلاثة على دابة فإن أحدهم ملعون وهو المقدم. يا علي إذ لك مولود غلام أو جارية فأذن في أذنه اليمين وأقم في أذنه اليسار فإنه لا يضرّه الشيطان. يا علي: لا تأت أهلك ليلة الهلال ولا النصف فإنه يتخوف على ولدك الخبل، قال علي: ولم يا رسول الله؟ قال: لأن الجن يكثرون غشيان نسائهم ليلة النصف الهلال، أما رأيت المجنون يصرع ليلة النصف وليلة الهلال؟ يا علي: وإذا نزلت بك شدة فقل: اللهم إني أسألك بحق محمد محمد عليك أن تنجيني، وإذا أردت الدخول إلى مدينة أو قرية فقل حين تعاينها: اللهم إني أسألك خير هذه المدينة وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما كتبت فيها، اللهم ارزقني خيرها وأعذني من شرّها وحببنا إلى أهلها وحبّب صالح أهلها إلينا

يا علي إذا نزلت منزلاً فقل: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ترزق خيره ويدفع عنك شرّه. يا علي والمرائي فإنه لا تعقل حكمته ولا تؤمن فتنته. يا علي: وإياك والدخول إلى الحمام بلا مئزر فإنه ملعون الناظر والمنظور إليه علي: لا تختم بالسبابة والوسطى فإنه من فعل قوم لوط. يا علي: لا تلبس المعصفر ولا تبت في ملحفة حمراء فإنها محـ الشيطان. يا علي: لا تقرأ وأنت راكع ولا ساجد. يا علي: إياك والمجادلة فإنها تحبط الأعمال. يا علي: لا تنهر السائل ولو على فرس وأعطه فإن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل. يا علي: باكر بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة. يا عليك بحسن الخلق فإنك تدرك بذلك درجة الصائم القائم. يا علي: إياك والغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آ غضب. يا علي: إياك والمزاح فإنه يذهب ببهاء ابن آدم ونشاطه. يا علي: عليك بقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص فإنها منهاة للفقر، وإياك والربا فإن فيه ست خصال ثلاثة منها في الدنيا وثلاثة في الآخرة، فأما التي في الدنيا تعجل الفنا و الفنا وتمحق الرزق، وأما التي في الآخرة فسوء الحساب وسخط الرب عز وجل والخلود في النار أو الخلوة شكّ الراوي.

يا علي: وإذا دخلت منزلك فسلّم على أهل بيتك يكثر خير بيتك. يا علي: أحب الفقراء والمساكين يحبك الله. يا علي تنهر المساكين والفقراء فتنهرك الملائكة يوم القيامة. يا علي: عليك بالصدقة فإنها تدفع عنك السوء. يا علي: أنفق وأوسع عيالك ولا تخش من ذي العرش إقلالاً. يا علي: إذا ركبت دابة فقل: الحمد لله الذي كرمنا وهدانا للإسلام ومنّ علينا بمحمد السلام، الحمد لله الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. يا علي: لا تغضبن إذا قيل لك اتق الله فيسوءك يوم القيامة. يا علي: إن الله يعجب من عبده إذا قال: اللهم اغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، يقول الله: يا ملائكتي عبد علم أنه لا يغفر الذنوب غيري اشهدوا أني قد غفرت له. يا علي: إذا لبست ثوباً جديداً فقل: بسم الله والحمد لله الذي كسـ أواري به عورتي واستغني به عن الناس، لم يبلغ الثوب ركبتيك حتى يغفر لك.

يا علي: من لبس ثوباً جديداً فكسى فقيراً أو يتيماً عرياناً أو مسكيناً كان في جوار الله وأمنه وحفظه ما دام عليه منه سلـ علي: إذا دخلت السوق فقل حين تدخل: بسم الله وبالله أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يقول الله تـ عبدي هذا ذكرني والناس غافلون اشهدوا أني قد غفرت له. يا علي: إن الله يعجب ممّن يذكره في الأسواق إذا دخلت الـ قل: بسم الله والسلام على رسول الله اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرجت فقل: بسم الله والسلام على رسول الله افتح لي أبواب فضلك. يا علي: وإذا سمعت المؤذن قل مثل مقالته يكتب لك مثل أجره. يا علي: وإذا فرغت من وضوئك أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله اللهم اجعلني من التوّابين واجعلني من المتطهرين تخرج من ذنوبك كيوم أمك وتفتح لك ثمانية أبواب الجنة يقال ادخل من أيها شئت. يا علي: إذا فرغت من طعامك فقل: الحمد لله الذي أطعمنا وجعلنا مسلمين. يا علي: إذا شربت فقل: الحمد لله الذي سقانا ماء جعله عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا شاكراً. يا علي: إياك والكذب فإن الكذب يسوّد الوجه ولا يزال الرجل يكذب حتى يسمّى عند الله كاذباً ويصدق حتى عند الله صادقاً إن الكذب يجانب الإيمان.

يا علي: لا تغتابن أحداً فإن الغيبة تفطر الصائم والذي يغتاب الناس يأكل لحمه يوم القيامة. يا علي: إياك والنميمة ولا الجنة قتات يعني النمام. يا علي: لا تحلف بالله كاذباً ولا صادقاً. يا علي: لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم فإن الله لا يرحم و من يحلف بالله كاذباً. يا علي: أملك عليك لسانك وعوده الخير فإن العبد يوم القيامة ليس عليه شيء أشدّ من خيفة لسانه. يـ إياك واللجاجة فإنها ندامة. يا علي: إياك والحرص فإن الحرص أخرج أباك من الجنة. يا علي: إياك والحسد فإن الحسـ

الحسنات كما تأكل النار الحطب. يا علي: ويل لمن يكذب ليضحك الناس ويل له ويل له. يا علي: عليك بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب تعالىٰ ومجلاة للأسنان. يا علي: عليك بالتخلّل فإنه ليس شيء أبغض إلى الملائكة أن ترى في أسنان العبد طعاماً.

فقال علي عليه السلام قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] ما هؤلاء الكلمات؟ فقال النبيّ ﷺ: إن الله تعالىٰ أهبط آدم عليه السلام بأرض الهند وحواء بجدة والحية بأصبهان وإبليس ببيسان ولم يكن في الجنة أحسن من الحية والطاووس وكان للحية قوائم كقوائم البعير فلما دخل إبليس لعنه الله جوفها أغوى آدم عليه السلام وخدعه فغضب الله تعالىٰ على الحية فألقى عنها قوائمها وقال: جعلت رزقك من التراب وجعلتك تمشين على بطنك لا رحم الله من رحمك، وغضب الله عزّ وجلّ على الطاووس فمسح رجليه لأنه كان دليلاً لإبليس على الشجرة فمكث آدم عليه السلام مائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء يبكي على خطيئته وقد جلس جلسة الحزين فبعث الله جبريل عليه السلام فقال: السلام عليك يا آدم الله عزّ وجلّ يقرئك السلام ويقول لك: ألم أخلقك بيدي وأنفخ فيك من روحي؟ ألم أسجد لك ملائكتي؟ ألم أزوجك حواء أمتي؟ ما هذا البكاء؟ قال: يا جبريل وما يمنعني من البكاء وقد أخرجت من جوار ربي؟ قال له جبريل عليه السلام: يا آدم تكلم بهؤلاء الكلمات فإن الله تعالىٰ غافر ذنبك وقابل توبتك، قال: فما هن؟ قال قل: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد، سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت وارحمني وأنت خير الراحمين، سبحانك وبحمدك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم، سبحانك وبحمدك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين، فهؤلاء الكلمات.

يا علي: وأنهاك عن حيات البيوت إلاّ الأفطس والأبتر فإنهما شيطانان. يا علي: وإذا رأيت حية في رحلك فلا تقتلها حتى تخرج عليها ثلاثاً فإن عادت الرابعة فاقتلها. يا علي: وإذا رأيت حية في الطريق فاقتلها فإني قد اشترطت على الجن أن لا يظهروا في صورة الحيات في الطريق فمن فعل خلى بنفسه للقتل. يا علي: أربع خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وبعد الأمل، وحب الدنيا. يا علي: أنهاك عن أربع خصال عظام: الحسد والحرص والكذب والغضب. يا علي: ألا أنبئك بشر الناس؟ قال قلت: بلى يا رسول الله، قال: من سافر وحده ومنع رفده وضرب عبده. ألا أنبئك بشر من هؤلاء جميعاً؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال[1]: من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره. يا علي: إذا صليت على جنازة فقل: اللهم هذا عبدك وابن عبدك وابن أمتك ماض فيه حكمك خلقته ولم يكن شيئاً مذكوراً نزل بك وأنت خير منزول به، اللهم لقّنه حجته وألحقه بنبيه ﷺ وثبّته بالقول الثابت فإنه افتقر إليك واستغنيت عنه، كان يشهد أن لا إله إلاّ الله فاغفر له وارحمه ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده، اللهم إن كان زاكياً فزكه وإن كان خاطئاً فاغفر له.

يا علي: وإذا صليت على جنازة امرأة فقل: اللهم أنت خلقتها وأنت أحييتها وأنت أمتها تعلم سرّها وعلانيتها جئناك شفعاء لها فاغفر لها وارحمها ولا تحرمنا أجرها ولا تفتنا بعدها. وإذا صليت على طفل فقل: اللهم اجعله لوالديه سلفاً واجعله لهما ذخراً واجعله لهما رشداً واجعله لهما نوراً واجعله لهما فرطاً وأعقب والديه الجنة ولا تحرمهما أجره ولا تفتنهما بعده. يا علي: إذا توضأت فقل: اللهم إني أسألك تمام الوضوء وتمام مغفرتك ورضوانك. يا علي: إن العبد المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة أمنه الله من البلايا الثلاثة: الجنون والجذام والبرص، وإذا أتت عليه ستون سنة فهو في إقبال وبعد الستين في إدبار رزقه الله الإنابة فيما يحب، وإذا أتت عليه سبعون سنة أحبه أهل السموات وصالحوا أهل الأرض، وإذا أتت عليه ثمانون سنة كتبت له حسناته ومحيت عنه سيئاته، وإذا أتت عليه تسعون سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإذا أتت عليه مائة سنة كتب الله اسمه في السماء أسير الله في أرضه وكان حبيس الله تعالى. يا علي: احفظ وصيتي إنك على الحق والحق معك.

قلنا: وربما وقع عندي أن أجعل في هذا الكتاب أولاً فصلاً في العقائد المؤيّدة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، ثم رأيت أن ذلك تشعيب على المتأهب الطالب للمزيد، المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود، فإن المتأهب إذا لزم الخلوة والذكر، وفرغ المحل من الفكر، وقعد فقيراً لا شيء له عند باب ربّه، حينئذ يمنحه الله تعالىٰ ويعطيه من العلم به والأسرار الإلٰهية والمعارف الربانية التي أثنى الله سبحانه بها على عبده خضر فقال: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقال: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] وقال: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨] قيل للجنيد: بم نلت ما نلت؟ فقال: بجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة. وقال أبو يزيد: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، فيحصل لصاحب الهمة في الخلوة مع الله، وبه جلت هبته وعظمت منته، من العلوم ما يغيب عندها كل متكلم على البسيطة، بل كل صاحب نظر وبرهان ليست له هذه الحالة فإنها وراء النظر العقلي إذ كانت العلوم على ثلاث مراتب.

علم العقل: وهو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل وشبهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا الفن من العلوم ولهذا يقولون في النظر منه صحيح ومنه فاسد.

والعلم الثاني: علم الأحوال ولا سبيل إليها إلاَّ بالذوق، فلا يقدر عاقل على أن يحدها ولا يقيم على معرفتها دليلاً، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والعشق والوجد والشوق وما شاكل هذا النوع من العلوم، فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلاَّ بأن يتصف بها ويذوقها وشبهها من جنسها في أهل الذوق، كمن يغلب على محل طعمه المرة الصفراء فيجد العسل مراً وليس كذلك، فإن الذي باشر محل الطعم إنما هو المرة الصفراء.

والعلم الثالث: علوم الأسرار وهو العلم الذي فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع يختص به النبيّ والوليّ وهو نوعان: نوع منه يدرك بالعقل كالعلم الأول من هذه الأقسام لكن هذا العالم به لم يحصل له عن نظر ولكن مرتبة هذا العلم أعطت هذا. والنوع الآخر على ضربين: ضرب منه يلتحق بالعلم الثاني لكن حاله أشرف، والضرب الآخر من علوم الأخبار وهي التي يدخلها الصدق والكذب إلاَّ أن يكون المخبر به قد ثبت صدقه عند المخبر وعصمته فيما يخبر به ويقوله، كإخبار الأنبياء صلوات الله عليهم عن الله كإخبارهم بالجنة وما فيها، فقوله إن ثم جنة من علم الخبر، وقوله في القيامة: إن فيها حوضاً أحلى من العسل من علم الأحوال وهو علم الذوق، وقوله: كان الله ولا شيء معه، ومثله من علوم العقل المدركة بالنظر، فهذا الصنف الثالث الذي هو علم الأسرار العالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس صاحب تلك العلوم كذلك، فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات، وما بقي إلاَّ أن يكون المخبر به صادقاً عند السامعين له معصوماً هذا شرطه عند العامة. وأما العاقل اللبيب الناصح نفسه فلا يرمي به ولكن يقول هذا جائز عندي أن يكون صدقاً أو كذباً، وكذلك ينبغي لكل عاقل إذا أتاه بهذه العلوم غير المعصوم وإن كان صادقاً في نفس الأمر فيما أخبر به، ولكن كما لا يلزم هذا السامع له صدقه لا يلزمه تكذيبه ولكن يتوقف، وإن صدقه لم يضره لأنه أتى في خبره بما لا تحيله العقول بل بما تجوزه أو تقف عنده، ولا يهد ركناً من أركان الشريعة، ولا يبطل أصلاً من أصولها، فإذا أتى بأمر جوزه العقل وسكت عنه الشارع، فلا ينبغي لنا أن نرده أصلاً ونحن مخيرون في قبوله، فإن كانت

الة المخبر به تقتضي العدالة لم يضرنا قبوله كما نقبل شهادته ونحكم بها في الأموال والأرواح، وإن كان غير عدل في منا فننظر فإن كان الذي أخبر به حقاً بوجه ما عندنا من الوجوه المصححة قبلناه، وإلاَّ تركناه في باب الجائزات ولم كلم في قائله بشيء فإنها شهادة مكتوبة نسأل عنها قال تعالىٰ: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩] وأنا أولى ، نصح نفسه في ذلك، ولو لم يأت هذا المخبر إلاَّ بما جاء به المعصوم فهو حاك لنا ما عندنا من رواية عنه فلا فائدة ها عندنا بخبره، وإنما يأتون رضي الله عنهم بأسرار وحكم من أسرار الشريعة مما هي خارجة عن قوة الفكر والكسب، ' تنال أبداً إلاَّ بالمشاهدة والإلهام وما شاكل هذه الطرق، ومن هنا تكون الفائدة بقوله عليه السلام: «إنْ يَكُنْ في أُمّتي دثُون فَمِنهُمْ عُمَرُ» وقوله في أبي بكر في فضله بالسر غيره، ولو لم يقع الإنكار لهذه العلوم في الوجود لم يفد قول أبي يرة: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع مني هذا البلعوم. حدثني به قيه أبو عبد الله محمد بن عبيد الله الحجري بسبتة في رمضان عام تسعة وثمانين وخمسمائة بداره، وحدثني به أيضاً أبو ليد أحمد بن محمد بن العربي بداره بإشبيلية سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة في آخرين كلهم قالوا حدثنا إلاَّ أبا ليد بن العربي فإنه قال: سمعت أبا الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني قال: حدثني أبي أبو عبد الله وأبو عبد الله مد بن أحمد بن منظور القيسي سماعاً مني عليهما عن أبي ذر سماعاً منهما عليه عن أبي محمد هو عبد الله بن أحمد بن موية السرخسي الحموي وأبي إسحاق المستملي وأبي الهيثم هو محمد بن مكي بن محمد الكشميهني قالوا: أنا أبو د الله هو محمد بن يوسف بن مطر الفربري قال: أنا أبو عبد الله البخاري، وحدثني به أيضاً أبو محمد يونس بن يىٰ بن أبي الحسين بن أبي البركات الهاشمي العباسي بالحرم الشريف المكي تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة شهر جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسىٰ السجزي الهروي، عن أبي سن عبد الرحمن بن المظفر الداودي، عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، عن أبي عبد الله الفربري ، البخاري. وقال البخاري في صحيحه: حدثني إسماعيل قال: حدثني أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن ، هريرة وذكر الحديث، وشرح البلعوم لأبي عبد الله البخاري من رواية أبي ذر خرّجه في كتاب العلم، وذكروا أن لعوم مجرى الطعام، ولم يفد قول ابن عباس حين قال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ زَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ١٢] لو ذكرت تفسيره لرجمتموني، وفي رواية لقلتم إني كافر، حدثني بهذا الحديث أبو د الله محمد بن عيشون عن أبي بكر القاضي محمد بن عبد الله بن العربي المعافري عن أبي حامد محمد بن محمد وسي الغزالي، ولم يكن لقول الرضي من حفدة علي بن أبي طالب رضي الله عنه معنى إذ قال:

يـا رب جـوهـر علـم لـو أبـوح بـه	لقيـل لـي أنـت ممـن يعبـد الـوثنـا
ولاستحـل رجـال مسلمـون دمـي	يـرون أقبـح مـا يـأتـونـه حسنـا

فهؤلاء كلهم سادات أبرار فيما أحسب واشتهر عنهم قد عرفوا هذا العلم ورتبته ومنزلة أكثر العالم منه وأن الأكثر كرون له، وينبغي للعاقل العارف أن لا يأخذ عليهم في إنكارهم فإنه في قصة موسىٰ مع خضر مندوحة لهم وحجة لائفتين، وإن كان إنكار موسىٰ عن نسيان لشرطه ولتعديل الله إياه، وبهذه القصة عينها نحتجّ على المنكرين لكنه لا يل إلى خصامهم ولكن نقول كما قال العبد الصالح ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: ٧٨].

وصل: ولا يحجبنك أيها الناظر في هذا الصنف من العلم الذي هو العلم النبوي الموروث منهم صلوات الله عليهم وقفت على مسألة من مسائلهم قد ذكرها فيلسوف أو متكلم أو صاحب نظر في أي علم كان، فتقول في هذا القائل الذي الصوفي المحقق إنه فيلسوف لكون الفيلسوف ذكر تلك المسألة وقال بها واعتقدها وأنه نقلها منهم أو أنه لا دين فإنّ الفيلسوف قد قال بها ولا دين له، فلا تفعل يا أخي فهذا القول قول من لا تحصيل له، إذ الفيلسوف ليس كل علمه

باطلاً، فمسى تكون تلك المسألة فيما عنده من الحق ولا سيما إن وجدنا الرسول عليه السلام قد قال بها، ولا سيما ف
وضعوه من الحكم والتبري من الشهوات ومكايد النفوس وما تنطوي عليه من سوء الضمائر، فإن كنا لا نعرف الحق
ينبغي لنا أن نثبت قول الفيلسوف في هذه المسألة المعينة وأنها حق، فإن الرسول ﷺ قد قال بها أو الصاحب أو مالك
الشافعي أو سفيان الثوري، وأما قولك إن قلت سمعها من فيلسوف أو طالعها في كتبهم فإنك ربما تقع في الكذ
والجهل، أما الكذب فقولك سمعها أو طالعها وأنت لم تشاهد ذلك منه، وأما الجهل فكونك لا تفرق بين الحق في ت
المسألة والباطل، وأما قولك إنَّ الفيلسوف لا دين له فلا يدل كونه لا دين له على أن كل ما عنده باطل وهذا مدرك بـ
العقل عند كل عاقل، فقد خرجت باعتراضك على الصوفيّ في مثل هذه المسألة عن العلم والصدق والدين، وانخر
في سلك أهل الجهل والكذب والبهتان ونقص العقل والدين وفساد النظر والانحراف، أرأيت لو أتاك بها رؤيا رآها
كنت إلاَّ عابرها وتطلب على معانيها، فكذلك خذ ما أتاك به هذا الصوفي واهتد على نفسك قليلاً وفرغ لما أتاك به مح
حتى يبرز لك معناها أحسن من أن تقول يوم القيامة ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧] ف
علم إذا بسطته العبارة حسن وفهم معناه أو قارب وعذب عند السامع الفهم فهو علم العقل النظري لأنه تحت إدراكه، و
يستقل به لو نظر إلاَّ علم الأسرار فإنه إذا أخذته العبارة سمج واعتاص على الإفهام دركه وخشن، وربما مجّته العـ
الضعيفة المتعصبة التي لم تتوفر لتصريف حقيقتها التي جعل الله فيها من النظر والبحث، ولهذا صاحب العلم كثير
يوصله إلى الأفهام بضرب الأمثلة والمخاطبات الشعرية.

وأما علوم الأحوال فمتوسطة بين علم الأسرار وعلم العقول. وأكثر ما يؤمن بعلم الأحوال أهل التجارب وهو
علم الأسرار أقرب منه إلى العلم النظري العقلي، لكن يقرب من صنف العلم العقلي الضروري بل هو هو، لكن لما ك
العقول لا تتوصل إليه إلاَّ بأخبار من علمه أو شاهده من نبي أو ولي لذلك تميز عن الضروري لكن هو ضروري عند
شاهده، ثم لتعلم أنه إذا حسن عندك وقبلته وآمنت به فأبشر إنك على كشف منه ضرورة وأنت لا تدري لا سبيل إلاَّ
إذ لا يثلج الصدر إلاَّ بما يقطع بصحته وليس للعقل هنا مدخل لأنه ليس من دركه إلاَّ إن أتى بذلك معصوم حينئذ
صدر العاقل، وأما غير المعصوم فلا يلتذ بكلامه إلاَّ صاحب ذوق.

فإن قلت: فلخص لي هذه الطريقة التي تدعي أنها الطريقة الشريفة الموصلة السالك عليها إلى الله تعالىٰ وما تنـ
عليه من الحقائق والمقامات بأقرب عبارة وأوجز لفظ وأبلغه حتى أعمل عليه ونصل إلى ما ادعيت أنك توصلت إ
وبالله أقسم أني لا آخذه منك على وجه التجربة والاختبار وإنما آخذه منك على الصدق، فإني قد حسنت الظن بك إحـ
قطع، إذ قد نبهتني على حظ ما أتيت به من العقل، وان ذلك ممّا يقطع العقل بجوازه وإمكانه أو يقف عنده من غير
معين، فشكر الله لك ذلك، وبلغك آمالك، ونفعك ونفع بك.

فاعلم أن الطريق إلى الله تعالىٰ الذي سلكت عليه الخاصة من المؤمنين الطالبين نجاتهم دون العامة الذين ش
أنفسهم بغير ما خلقت له أنه على أربع شعب: بواعث ودواع وأخلاق وحقائق، والذي دعاهم إلى هذه الدواعي والبو
والأخلاق والحقائق ثلاثة حقوق تفرضت عليهم: حق لله، وحق لأنفسهم، وحق للخلق، فالحق الذي لله تعالىٰ عليهم
يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. والحق الذي للخلق عليهم كف الأذى كله عنهم ما لم يأمر به شرع من إقامة حد و
المعروف معهم على الاستطاعة والإيثار ما لم ينه عنه شرع فإنه لا سبيل إلى موافقة الغرض إلاَّ بلسان الشرع. والحق
لأنفسهم عليهم أن لا يسلكوا بها من الطرق إلاَّ الطريق التي فيها سعادتها ونجاتها، وإن أبت فلجهل قام بها أو سوء

فإن النفس الأبية إنما يحملها على إتيان الأخلاق الفاضلة دين أو مروءة، فالجهل يضاد الدين فإن الدين علم من العلوم وسوء الطبع يضادّ المروءة.

ثم نرجع إلى الشعب الأربع فنقول الدواعي خمسة: الهاجس السببيّ ويسمى نفر الخاطر، ثم الإرادة، ثم العزم، ثم الهمة، ثم النية. والبواعث لهذه الدواعي ثلاثة أشياء: رغبة أو رهبة أو تعظيم. والرغبة رغبتان: رغبة في المجاورة ورغبة في المعاينة، وإن شئت قلت: رغبة فيما عنده ورغبة فيه. والرهبة رهبتان: رهبة من العذاب ورهبة من الحجاب، والتعظيم إفراده عنك وجمعك به.

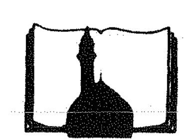
والأخلاق على ثلاثة أنواع: خلق متعد، وخلق غير متعد، وخلق مشترك. فالمتعدي على قسمين: متعد بمنفعة كالجود والفتوّة، ومتعد بدفع مضرّة كالعفو والصفح واحتمال الأذى مع القدرة على الجزاء والتمكّن منه، وغير المتعدي كالورع والزهد والتوكل. وأما المشترك فكالصبر على الأذى من الخلق وبسط الوجه. وأما الحقائق فعلى أربع حقائق ترجع إلى الذات المقدسة، وحقائق ترجع إلى الصفات المنزهة وهي النسب، وحقائق ترجع إلى الأفعال وهي كن وأخواتها، وحقائق ترجع إلى المفعولات وهي الأكوان والمكونات، وهذه الحقائق الكونية على ثلاث مراتب: علوية وهي المعقولات، وسفلية وهي المحسوسات، وبرزخية وهي المخيلات. فأما الحقائق الذاتية فكل مشهد يقيمك الحق فيه من غير تشبيه ولا تكييف لا تسعه العبارة ولا تومي إليه الإشارة. وأما الحقائق الصفاتية فكل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة كونه سبحانه عالماً قادراً مريداً حياً إلى غير ذلك من الأسماء والصفات المختلفة والمتقابلة والمتماثلة. وأما الحقائق الكونية فكل مشهد يقيمك الحق فيه تطلع منه على معرفة الأرواح والبسائط والمركبات والأجسام والاتصال والانفصال. وأما الحقائق الفعلية فكل مشهد يقيمك فيه تطلع منه على معرفة كن وتعلق القدرة بالمقدور بضرب خاص لكون العبد لا فعل له ولا أثر لقدرته الحادثة الموصوف بها. وجميع ما ذكرناه يسمى الأحوال والمقامات، فالمقام منها كل صفة يجب الرسوخ فيها ولا يصح التنقل عنها كالتوبة، والحال منها كل صفة تكون فيها في وقت دون وقت كالسكر والمحو والغيبة والرضى، أو يكون وجودها مشروطاً بشرط فتنعدم لعدم شرطها كالصبر مع البلاء والشكر مع النعماء وهذه الأمور على قسمين: قسم كماله في ظاهر الإنسان وباطنه كالورع والتوبة، وقسم كماله في باطن الإنسان، ثم إن تبعه الظاهر فلا بأس كالزهد والتوكل، وليس ثم في طريق الله تعالىٰ مقام يكون في الظاهر دون الباطن. ثم إن هذه المقامات منها ما يتصف به الإنسان في الدنيا والآخرة كالمشاهدة والجلال والجمال والأنس والهيبة والبسط. ومنها ما يتصف به العبد إلى حين موته إلى القيامة إلى أوّل قدم يضعه في الجنة ويزول عنه كالخوف والقبض والحزن والرجاء. ومنها ما يتصف به العبد إلى حين موته كالزهد والتوبة والورع والمجاهدة والرياضة والتخلي والتحلي على طريق القربة. ومنها ما يزول لزوال شرطه ويرجع لرجوع شرطه كالصبر والشكر والورع. فهذا وفقنا الله وإياك قد بينت لك الطريق مرتب المنازل ظاهر المعاني والحقائق على غاية الإيجاز والبيان والاستيفاء العام، فإن سلكت وصلت والله سبحانه يرشدنا وإياك.



فهرس

الفوائد المنقاة من الفتوحات المكية

في العترة الزكية



The Open School

P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398